رواية

هَلْوَسَة سَجين

المشهد الأوَّل

رجولة مُزيَّفة ... قُضاة متربصون

(رُبَّما يكون هناك تشابه في الأحداث و الأشخاص و الزمان . .
لكنَّها قصة سجين أخذته الهلوسة إلى الجحيم)

الحفناوي بن عامر غول الحسني

كتاب الواحة من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

مدير التحرير

إبراهيم موسى النحّاس

مدير الإنتاج

مصطفى عماد

الكتاب : هَلْوَسَة سَجين «رواية»
المؤلف : الحفناوي بن عامر غول الحسني
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
الطبعة الأولى
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٠٢٨٦ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 765 - 1

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١١١٥٨٢٦٣٦٤ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

- إلى كلِّ الشرفاء الأحرار.

- إلى كلِّ المضطّهَدين في هذا العالم.

- إلى الصحفيين و الحقوقيين و المُدوِّنين الصادقين.

... حيث لا يفهمهم الكثيرون.

أهدي هذا العمل.

الحفناوي بن عامر غول الحسَني

تقديم

استطاعت الرواية العربية أن تسبر أغوار الواقع و تُعبِّر عن الكثير من قضايا الذات و المجتمع، و من هُنا حقَّقتْ مكانتها المُتميِّزة بين الأنواع الأدبية الأخرى، بل و نافسَت الشِعر الذي هو فن العربية الأوَّل في مكانته، و الروائي الحفناوي بن عامر غول الحسني في روايته الجديدة ((هلوسة سجين)) يكشف لنا بعمق جانبًا من جوانب هذا الواقع، من خلال البطل الذي يُمكن أن نعتبره رمزًا لكل باحث عن حرية التعبير، لتتناول الرواية من خلال أحداثها قضايا كبرى مثل علاقة المُثقَّف بالسُلطة، و مفهوم الحرية، و معنى العدالة و غيابها في بعض المجتمعات، في رواية قام السرد فيها على لغة جميلة لا غموض فيها و تُوظّف لغة الحوار أحيانًا من أجل الإقناع العقلي و خلق الصدق الفنِّي لدى المُتلقي، كما تعكس ثقافة الكاتب الواسعة، مستعينًا بمبدأ التشويق في تدرُّج الصراع و نموُّه داخل الحدث الروائي، مع جَعْل النهاية مفتوحة ليشترك القارئ معه في وضع نهاية الأحداث، مِمَّا يؤكد أنَّنا أمام روائي يجيد امتلاك أدواته الفنيَّة و يُحسِن توظيفها.

- 1 -

((السجن للرجال، و اللي ما دخلش للحبس ماهوش راجل))

هـذا مـا كنـت اسـمعه في الكثـير مـن المجالـس الشـعبيَّة. حديـث يجـترُّه البعـض ليزيـدوك شـحنا. و عندمـا دخلـتُ السـجن أصبـح لسـان حالهـم يُـردِّد بـكل وقاحـة (ماهـوش رجـل) أي لسـت الرَجُل المُؤهَّـل. مـع إنَّنـي دافعـتُ عـن عِرْضِهـم و صُنْـتُ كرامتهـم..؟؟

***

لم يكـن يـدري أن يكـون مصـيره السـجن ... كان يكتـب و ينقـل الحقائـق المريـرة، كان لسـان حـال المسـتضعفين و المحقوريـن مِمَّـن احتقرهـم المسـؤول ليركبهـم كـما تُركـب الدابـة، كان و كان فيـه قلـم يترصَّـد الأخطـاء و الهفـوات، لكـن في النهايـة اسـتطاعوا أن ينتـصروا عليـه بفبركـة عـشرات القضايـا حتـى يتـم إسـكاته..... هكـذا و بجـرَّة قلـم ..بـكل بسـاطة ...لا، بـل بـكل تفاهـة .. فجـأة و بـدون سـابق إنـذار أصبـح مُقيَّـدًا.

– الحمد لله هو الآن في السجن (قالها وليُّ النقمة)، أو رُبَّما هي آخر ما تلفَّظ به ..

– سنشرب على نخب النصر و الفوز بالزجِّ بذاك المشاغب المشاكس في السجن.

ـ مثل الكلب..؟

قالها غاضبًا ..

– الله يلعن اليوم اللي خرج لنا فيه

لقد فهمتُ الدرس بمُجرَّد أن وطأت قدماي مكتب وكيل الجمهورية في حضرة صاحب القضاء. فالعدالة تعمل تحت تأثير ما يُملى عليها بالتليفون. إنَّه أمر دُبِّر بالليل تحت إشراف الوالي القادم من الضفة الأخرى و التي تتميَّز بالتعالي، و من جهة الرئيس صاحب الفخامة القاضي الأوَّل في البلاد ..لولا المحسوبية والجهوية لما كان حتى وصيفا عند جارنا الملك.

لكن الجهوية المقيتة و قِصَر القامة و... و المحاباة.

– نعم لولا قصر القامة لما تم اختياره

– أقربكم إلى الأرض أشدُّكم فتنة.

– وبلاء..(قالها مسجون مُنبهرًا بشخصية نابوليون)

و هو مَن تلقّى الأوامر أن يفبرك الملفات و يتصل بهم .

– خذوه فاسجنوه

بالطبع كل هذا تم بعد مشورة أهل الحَلِّ و الربط و جماعة صناعة القرار..و الليل هو من لياليهم الحمراء و الصفراء، و التي يتقرَّر فيها مصير الأمة و أحوال البلاد والعباد، إنَّ نسبنا الشريف و كرمنا الحاتمي كانا نذير شؤم علينا فالكرم الحاتمي تحوَّل الى ما يشبه الخنوع و الخضوع و عندما يُكرم المسؤول في مدينتي يُخيَّل إليه أنَّ ذلك من الخوف من القادم الجديد.

- مدينتي يمتاز أهلها بالجبن والخوف

- حاشا هناك الشرفاء

- و لكنهم لم يقفوا إلى جانبي و تركوني وحيدًا أصارع هؤلاء الطواغيت.

- و ماذا يفعل المسكين الفقير و الجائع العريان.. إنَّهم يبحثون عن قوتهم و ما يقدِّمون من طعام لأولادهم الجياع.

- يا للعجب، مدينة الخِراف المشويَّة فيها الجوع..

- نعم و لِمَ لا؟

هل حقيقة الجوع يُولّد الخوف و الخنوع؟

- و لكن هناك المنتفعون وأغلبية السكان من الإمعة

- و من بعد وش كاين؟

- هناك شرذمة في المدينة هي التي تحكم و تخدم الحاكم. أعيانها غُشاة و الغاشي فيها راشٍ، يفعلون ما يؤمرون، هُم مُجرَّد وعاء انتخابي لميل الكفة لصالح مُرشَّح السُلطة. فالجلفة يُستعان

بهـا في اللحظـات الحاسـمة لترجيـح الكفـة لصالـح المزوِّريـن. أهلهـا عبـارة عـن وعـاء و أصـوات مرتفعـة في بورصـة الانتخابـات. دائـمًا في المراتـب الأولى رغـم أنَّهـا مُتأخِّـرة تنمويًّـا..

– احبـس احبـس يرحـم بابـاك، ألمْ تكتـب أنَّهـا اسـتفادت مـن أكثـر مـن ٦٠٠٠ مليـار ؟

– نعـم قلتهـا و كتبـت ذلـك و لهـذا أنـا معكـم في الغرفـة ٢ مـن سـجن سـاميزو(حـي مئـة دار)

– جابـوك !..مـا شـكيتش جابـك السـتيلوا الـذي لم تعـرف كيـف تسـتغله؟

هـذا هـو الخطـاب المُسـتهلك دائـمًا. دراهـم ...تنمية.....مشـاريع ... عدالـة اجتماعيـة

لـو سـألت هـذا المتفاخـر بمشـاريع الدولـة لمـاذا جـيء بـكَ إلى السـجن لقـال بأنَّـه مـن أجْـل طبـسي لوبيـا أكلـه مـن شِـدَّة الجـوع و الفقـر و لا يملـك ثمنـه. و رُبَّـما حُكـم عليـه بسـنة سـجن رغـم أنَّ السـيد الـوالي و المُـدراء سرقـوا و نهبـوا و لكـن لا أحـد تُوبـع . و العدالـة لم و لـن تتحـرك .

– حتى النائب العام لم يتحرك...قالها الفاهم بالقوانين

– لم نسـتفد مـن شـيئ...كل المشـاريع تبرمـج عندنـا و تنتقـل إلى المـدن المرتبطـة بنـا و بنفـس الوقـت و الفـارق الزمنـي أنَّ كل بـلاد عيبهـا عـلى رجالهـا و مدينتـي مـا فيهـاش الرجـال والحمـد لله ؟

أعرفهم جيِّدًا مَن كانوا يُجرِّبون فحولتهم على أبناء المنطقة و هناك حتى من لفظته زوجته و هجرته في الفراش ..في الحقيقة إنَّها تحسُّ أن لا فارق بينها و بينه، فهُم في الفراش سواء ..و رغم أنّه كان يعرفهم و يتحدث إليهم بإضافة نون النسوة حين يخاطبهنَّ، ألا إنَّهم جمعوا شملهم و توحَّدوا و وقفوا بالمرصاد لكي يورِّطوه مهما كان الثمن. و لأنَّ القضية قضية شرف و نيف و رجولة، فالصراع على أشدِّه و الكل يكيد له. و إذا كان النيف و الشرف يدخل النار بلغوا تحياتنا إذا لأهل الجنة ...فالمعركة معركة شرف يا سادة

***

إذا أردت أن تتخلص من كلبك اتهمه بالكلب ؟

الفرصة إذا مواتية لكي نرفع قضايا القذف و التعدِّي و الإهانة. مهما كان الثمن. و صدقت الرؤيا في رمشة عين، يتم خطفه من منزله و يُقدَّم إلى وكيل الملك و يأمرون قاضي التحقيق بايداعه السجن ..دائمًا مع ملاحظة وكيل الجمهورية: «الجمهورية الجميلة جدا» مع إصدار أمر بالإيداع « ...عدالة مُستغلة ؟

- أنتَ كتبت أمورًا خطيرة مبنية على التزييف و التحريف للواقع.
- أنتَ ضد التنمية التي لا ينكرها إلّا جاحد.
- أنتَ ضد البصمات التي تراها و نراها كلنا في الميدان.
- أنتَ قذفتَ السُلطة بقلمكَ.
- لقد تجنَّيتَ.

- أنتَ تكذب ..أنتَ سافل.

- أنتَ خطر على النظام العام ..

نعم هذا هو بيت القصيد و مادمتَ خطيرًا إلى هذه الدرجة فلم يبقَ لي من مكان سوى السجن.

و تمَّ بحمد الله إيداعه في الساعة السادسة و الرُبْع مساءً.

***

كان الرعب يملا قلبه، دقائق فقط تمَّ تسهيل إجراءات دخوله، لكي يعرف أنَّ اللعب مع الكبار مُحَرَّمٌ على أمثاله.

***

هكذا كان يتحدث و هو مُنزوٍ في ركن القاعة رقم ٢ من الزنزانة .. في المكان الذي اختاروه له، مكان جميل لقضاء عطلة الصيف بين أربعة جدران حيث المجرمين و القتلة و حتى الأبرياء..يا ما في السجن مظاليم، شعار كثيرًا ما ردَّدناه، أمَّا اليوم فإنَّنا نقف عليه، بل و نرى هذا الشعار من الداخل. بالفعل في السجن مظاليم ...بالفعل في السجن مظاليم

بالفعل في السجن مظاليم ...و يبقى الصوت يتردَّد...سنوات من الكفاح و النضال من أجل حقوق الضعفاء و من أجل العدل و المساواة، و كل شيء يغضب أصحاب السعادة و السمو و ذوي الجاه و السلطان .كان يظهر مثل هادم اللذات حتى يُفرِّق الجماعات..لم تكن سوى شعارات برَّاقة يتمسك بها كل مظلوم.

كان يمكـن أن يجـاري السـلطان فيـما يفعـل و يعـترف لـه بالمُلـك المُطلـق ..كلمـة بسـيطة يرددهـا في كل مـرة، و حتـى أثنـاء حضورهـم فهـم يوصلوهـا بسرعـة الـبرق ..أكثـر مـن هدهـد سـليمان، عليـه أن يـردد كل صبـاح و مسـاء و يقـول لهـم :لكـم المُلـك مـن قبـل ومـن بعـد ..و لا ملـك إلّا الملـك .. لا ملـك إلّا الملـك كثـيرًا مـا كان يُعاتـب مـن طـرف المُقرَّبـين .. عتابـا صادقـا، ومـن القلـب وراءه الخـوف عليـه مـن الانتقـام ومـن سـطوة وجـبروت ولي النعمـة والنقمـة.. بنبرة حـادة :

ـ وش دخلـك في النـاس ..؟ ـ يكفيـك مشـاكلك و مشـاكل أسرتـك ؟ الله لا يركـب فـأس عـلى هـراوة ..؟

أمثلـة المتخاذلـين خـذ العِـبرة مـن بـاب النصيحـة، إنَّهـا النصائـح الميميـة المشـهورة و التـي جـاء في بندهـا الأوَّل والأهـم : أحفـظ الميـم تحفظـك

ماشـفت ..ماسـمعت ..ماقلـت ..مـا ..مـا ..مـا ...مـاه، مـاه، مـاه، مـاه مثـل العنـزة، أكثِـرْ مـن التمهميـه حتـى يقولـوا مِعـزة.. مِعـزة لكـي يعلفوهـا، فالقـرط و الشـعير خـير زاد للتقـوى مِعـزة و لـو طـارت

– ايها الملك : الفيل لا زملوا فيلة؟

– يـا رَجُـل أخطينـا مـن الفـأس و الهـراوة يكفينـا الـشيء الـلي وصلنـا لـه هكـذا كانـوا يقولـون لـه. ليـس مـن بـاب الفشـل و ثنيـه ولكـن لأن الطريـق محفـوف بالمخاطـر، و الحاكـم لا يرحـم . مهـما كان

الفعل فردَّة الفعل أعنف و أقبح لكنهم كانوا يدركون و بنظرة ثاقبة أنَّ مولانا يده طويلة

ـ آه يا وليدي، أيديهم طويلة ..؟! لا مجال للاستغراب و الاستعجاب

- اِسألْ مُجرِّب و لا تنسَ طبيب؟

ما زلنا نحفظ هذا المثل عن ظهر قلب

- لكن إلى متى و نحن على هاته الحال مكتوفي الأيدي.. ألا يمكن أن نضحِّي من أجل أن يعيش الآخرون..؟

الكل اكتوى بنار السُلطة و جحيم المسؤولين و بيروقراطية الإدارة و زيف ونفاق المنتخبين ..؟

- وظلم العدالة وجبن القضاة

- و شكون الراجل اللي يقولها أمام الملأ؟

- أنا مانيش راجل

- و أنتَ؟

- أنا كذلك مانيش راجل

- و أنتَ؟

- لو كان جيت راجل لو كان راني عارف صوالحي

- و أنتم؟

- ماناش رِجّالة، طحنونا، و ركبوا علينا الطحين.

ـ كم سنة من الاستقلال ؟

ـ عمر طويل من المعاناة ..

ـ ماتخممش كلش يفوت..

مَن المتكلم ؟

صوت رجل بلغ من الكبر عتيًّا..يبدو عليه الوقار و الغموض في نفس الوقت .يسمونه الرجل الحكيم أو المنصح الذي يقدم النصائح و المواعظ للسجناء و رواد المؤسسة العقابية من ذوي الإجرام.. و بالرغم من الغموض و شخصيته التي لا يعرفها أحد إلّا أنّه لا يتكلم إلّا نادرًا و في الوقت المناسب

ـ الدولة تأكلك لحم و (تلوحك) عظم .؟ و لكن عظم مُدوَّد مُتعفِّن ... مافيهش حتى المخ، كان دائمًا يعاتب نفسه و يسأل باستمرار.

ـ أي قدر هذا الذي ساقني إلى هنا ؟ ـ ماذا فعلت يا ربي ؟

هذا جزاء كل مَن يرفع رأسه و صوته في المملكة..ظهر الفساد في البر و البحر و الجو و في طول الحدود و عرضها.

أنا أتكلم ..إذا أنا حمار ...عرفها وحده.. قهقه .. قهقه.. قهقه..

لم يخجل من نفسه عندما اكتشف أنَّه حمار بأربع أرجل و ذيل و أشياء أخرى قد تلحق به الضرر..أو تشوِّه خِلقته، ها ها ها ها ها ....

– مـوت بالضحـك يـا حمار..نعـم حيـث لا فـرق بـين الإنسـان و الحـمار فالـكل سواسـية .. قهقـه .. قهقـه.. قهقـه..

لا بُـدَّ و أن تنجـح الخطـة التـي وضعهـا مولانا..يقولـون بأنـه جـاء ينتقـم مـن الرعيـة لأنهـم أخرجـوه و هـو في عـز نشـوته .. و لم يكـن النفـي بـل كان هربـا وخوفـا مـن الفضيحـة ..يقـال بأنهـم مرمـدوه و حاسـبوه أيـام (الكـور دي كونـت) ..

– امنين كانت الدولة دولة

– وعلاش وشراك تشوف فيها اليوم ؟

– مافيا و فساد و أشياء أخرى ستكتشفونها مع الأيام

بـل قـل : مخضـوه مثـل مـا يمخـض الحليـب في شـكوته ...يـا للعـار . مَـن يحاسـب مَن؟..ثـم بعـد سـنوات شـاقة: مَـن يقتـل مَـن؟... تعـددت الأسـئلة و الفاعـل واحـد. لكـن المفعـول فيـه و بـه ملتـزم الصمـت.

و لأنَّـه وحـده و لا وريـث لـه و لا نـد. فقـد قـرّر أن يكـون لـه شـياطين في كل إمـارة، مهمتهـم إذلال الرعيـة و فـرض سـطوتهم و جبروتهـم و تفتيـت وحدتهـم.

– أليس وحده؟

– أعوذ بالله من الشرك ومظاهره

ـ ياوليدي أحرزروحك ؟

– في الماضي قالوا: اللي خاف سلم، و اللي سلم سعدت أيامه، دائمًا نستعمل الأمثال التي تدعو إلى التخاذل و الاستكانة و المهانة .

لماذا ينسون الأمر النبوي الراشد (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) ؟هكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم

لكن كانوا دائمي التساؤل :

ـ و مَن أدراك أنه جائر ؟

ـ أليس المطلوب طاعة أولي الأمر؟

– و لأنَّهم تناسوا أنَّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إلّا أنَّهم يدركون بأنَّ مملكة مولانا أقامها على رؤوس شياطين الإنس

لنعد إلى الانهزامية التي تربطهم،(خذ الحكمة) :

أولا – أحفظ الميم تحفظك (ماسمعت، ماشفت، ماهدرت)

ثانيًا – اللي خاف سلم و اللي..... السعادة.

– سعدت أيامه

ثالثا – يعطيك تخطي راسي

رابعًا ..... إلى ما لا نهاية..الله لا يُركب فأس على هراوة

و ليس آخِرًا – بعيد الشر ..وجوه يتساقط على خدودها كل أنواع الشرور و المآسي و...و...و...ما أحسن ذاك اللفظ المرونق والمدبج بمعسول الكلام، أراهم دائمًا يستشهدون بتلك الأمثال

التـي لم تعـد تنطـق بالحكمـة .. كل مـا في الأمـر أننـا نريـد أن ننسـى مـن هـول مـا أصـاب الرعيـة، لتتناسـى وتتجاهـل مشـاكلها الحقيقيـة

– جيبولهم الديفان باش يسكروا

– ياخويـا الحمـد حاكمنـا زايـد في وجـدة ..و انـت تعـرف المـروك فيهـا الزطلـة

– وش حبيت اتقول؟

– نديـروا تعـاون و نجيبـوا المخـدرات و نخـدروا الشـعب بـاش الحاكـم يرتـاح مـن تكسـار الـراس و مـن مطالـب و انتقـاد الشـعب و جماعتـك اِنـتَ.

– مُستغربًا.. جماعتي أنا!

– نعـم أنتـم الصحفيـين و المشاكسـين، خلـوه يحكـم راه متوحـش الكـرسي منـذ وفـاة الزعيـم بوشـلاغم

– إذًا هكذا

– نعـم لـولا الظـروف لـكان هـو الرئيـس كان مُقرَّبًـا مـن الزعيـم و قـاب قوسـين مـن الحُكـم... لازم تعرفـوا بالـلي سـبَّب انقـلاب الزعيـم عـلى بـن بلـة كان هـو.

– يا جماعة خلونا من السياسة ..راه القارديان يسمع فيكم.

الأفضـل لي أن اسـترخي قليـلا .. هـؤلاء قـوم إمَّعـة . فهـم يضحكـون عـلى تـصرُّف النعامـة حينـما يداهمهـا الخطـر.....و هـم

يُطأطِئـون الـرؤوس و يُقبِّلـون الأرجـل. عـلى الأقـل النعامـة هـي تـردم رأسـها، مـع أنَّ جـزءًا كبـيرًا مـن جسـمها يبقـى للدلالـة عـلى أنَّهـا النعامـة و لم تختبـئ لأنَّهـا رغـم ذلـك تعـي معنـى البقـاء..!

- الوعي بالذات هو حقيقة الحياة (هكذا قال هيجل)

أمَّـا حكـماء آخـر الزمـن فـما زالـوا يردِّدُونهـا : - يـا وليدي السُـلطة مثـل الحديـد، أطيـح عليهـا تـضرك، أطيـح عليـك تـضرك؟ تقربهـا تكويـه ...- تبعدهـا تنفيـك ..يـا لطيـف بَعِّدنـا و لا قربنـا و لا سـمحنا

- بالصح متبعتنا متبعتنا ...

ليتك تسكت .. اخطينا يرحم باباك

***

- انها نظرية السقوط العكسي .

- الحمـد لله أنَّ تفاحـة نيوتـن صاحـب نظريـة الجاذبيـة لم تسـقط عـلى أحـد مـن سـاكني المملكـة المتخاذلـين. تصـوَّر لـو وقعـت عـن صاحبنـا التفاحـة لأمـر و بـدون تفكـير أو تقديـر انتـزاع باقـي حبـات التفـاح، لأنَّهـا هشّـه و يأخذهـا هـو قبـل الآخريـن و تتعرَّى الشـجرة و تمـوت الأغصـان ثـم يـأتي مديـر الغابـات و ينشرهـا و يبعهـا للمقـاول ليضعهـا أعمـدة لأساسـات قـصر السـلطان، المهـم أنَّـه أكل التفاحـة.

- لكـن البغل يـاكل و الحمار يـاكل و النار و كلنا يـأكل في لحم إخوته

- راك نسيت: حتى المسؤول ياكل.

– و المنشار ياكل، الكل ياكل في مملكة مولانا و الذئب يأكل من الغنم القاصية.

– أنا دائمًا أشك في نواياك، نحن نتحدث عن نظرية السقوط و أنتَ تتكلم في أمور تخص الدولة و...

يردُّ مقاطعًا:

– لأنَّه لو سقطت التفاحات كلها، لخلّفتْ وراءها ثورة، مَن يأكل مَن؟ و مَن يؤكل لَمن؟ و لبقينا مُعلقين إلى يوم يبعثون..؟

و لكنَّه لم يتمالك نفسه :

ابقَ على ذلك الرأي

***

إنَّها الأفكار المسمومة و المدسوسة عنوة و الجاهزة في الرد على التقاعس و المتخاذل ين امثالكم

ـ أعرف أنّكَ رجل حكيم، فقد سمعتُ عنكَ من خلال أحاديث إخواني المساجين و أعرف ما تعرَّضتَ له من ظلم بعدما خدمت الدولة بالنفس و ضحَّيتَ بالغالي و النفيس و قدّمْتَ شبابكَ ..لكن ألا يجب أن يكون هناك تغيير؟ ألسنا نحن من يصنع الماضي، أما تراه (زكي) يخدرنا بكلامه المعسول ..؟ المقاربة أنَّنا خُدعنا عندما نسمع زكي نجيب محمود يُحدثنا – بل يُخدِّرنا – عندما نستعرض قبل ما كتبه حيث ذلك العنوان

المعسـول: مجتمـع جديـد أو الكارثـة ...؟ أو تجديـد الفكـر العـربي ..أو ....

و إذا لم يتجدد المجتمع فماذا نفعل ؟

- عليه ان يتبدد ؟

- دبّر رأسه (يتفلق)....

- اخطينا من السياسة.

ـ 2 ـ

لقد أقام ملكنا منذ توليه السلطة و تحكمه في الرقاب حركات فوضوية كدليل على عدم نضج أفكاره و استقامة رأيه و سداد مشورته و على فساد أخلاقه...أقام ما شهدناه و قال عنه بأنَّه تصحيح للوضع القائم في جميع المجالات و النظم الاقتصادية و السياسية . فلم يبق إلا حركة تصحيحية داخل المنظومة الفكرية و العقائدية للرعية لنعيش عصر الرِدَّة في أوج عِزِّه ..

ـ يا بني الشعب مصقول على العوجة.

و لكن ماذا ننتظر ؟

من الذي وضعه في موضع لا يحسد عليه بين المطرقة و السندان؟ لم يكن اختياره، بل أجبروه على ذلك

ـ غمض عينيك تعيش حياتك ؟

قالها بصوت خافت.. رُبَّما لا يريد أن يسمع حديثنا الحارس الذي مرَّ منذ ثواني يتفقد أقفال أبواب السجن الداخلية. بالرغم من أنَّه يدرك أنَّ تلك الأقفال لا يمكن لأحد أن يجرؤ على فتحها..

و مع ذلك تراه ملَّ من الروتين اليومي. و لكن يا صاحبي هي الخبزة، رغم أنَّ الحراس هُم مَن في السجن و ليس النزلاء الذين يقضون ساعات أو أيام أو حتى سنوات داخل الأسوار ثم تنقضي مدتهم أو يستفيدوا من التخفيض و العفو ثم يسرحون. لكن الحراس المساكين هناك من قضى ثلاثين سنة مُتنقلا من سجنٍ لآخر..ألم أقل لكم إنَّه العذاب و إنَّ الخبزة مُرَّة ..؟

- ينعل بوها خدمة، الميزيرية أرحم منها ؟؟

- لكن مالا تعرفه يا صديقي أنَّ السجن أرحم من العالم الخارجي ..

- راهم ناسيين بأننا ماكلين، راقدين، شاربين. و رغم ذلك يعسوا علينا..

- راقدة و تمونجي يا صاحبي...قديما قيل: خبز بلا شرا و دار بلا كرا..

قد بدأت المناوبة و يجب أن يلتزم جميع المساجين الصمت بمن فيهم العقلاء. و السكوت إجباري على جميع المساجين ..لم يعد الصمت حكمة، لأنَّ الجميع عنده غمَّة و غصَّة في الحلق يريد أن يتكلم ليسمع الجميع ..يريد كل مسجون أن يتكلم عن الظلم الذي تعرَّض له.

***

ـ اخـدم كيـما أنتاجـك (قراينـك) ؟.يـا حـصراه يالحـاج خلينـا نرقـدوا، اخطينـا مـن النصائـح الانهزاميـة ..

– اصحابـك دايريـن سـيارات و فيـلات و خليـلات و إن تـراك (اتقـود)

هـذا الشـخص يريـدني أن أتزلـف و أتملـق و أدخـل لمذهـب (الشـيتة) المدفوعـة الاجـر والتكاليـف

– راك رهجتنا يرحم والديك سكتنا .

بالرغـم مـن أن السـؤال مبهـم للبعـض إلا أن معنـاه أعمـق و أشـمل . فنحـن الآن في سـوق المزايـدات :

ـ لازم لـك سيارة .. سكن ..زوجـة ..لا .. الزوجـة لم يحـن وقتهـا ،ابتـدأ أولا بالخليلـة (وحـدة) صغـيرة... تعقـب معـاك الوقـت ..(سـكت قليـلا ونطـق كفـرًا).. نطـق كفرًا..كفـر.. الله ينعلـك يـا وحـد المتخـاذل

ـ شـابة صغـيرة لم تتجـاوز أحـرف الطـاء التـي تـتراوح بـين (ثلاطاعـش و تسـعطاعش) تزهيـك ...تـرد لـك الـروح ...صـح يـا وليـدي تـرد لـك شـبابك ... ألا تـرى بـان اغلـب المسؤولين يتمتعون بالصحـة الجيـدة واللياقـة البدنيـة . الا تعـرف السـبب ؟

– لا، راني عارف ..

مـاك عـارف والـوا ..الصغـيرات هـم السـبب.– يخلـوك شـاب و شـباب (هـذه أضافهـا محبـوس آخـر كان يسـتمتع بحديثنـا، أو

تحركت فيه الغريزة الجنسية). تلمس الاماكن الحساسة و تفكر أنه ذكر...العنوان ليس غريب عني، و رُبَّما إنَّ هذا الأمر ورد في إباحيات نوال السعداوي.

– أتعلم يا صديقي أنَّهم أنسونا حتى في أعضائنا التناسلية من كثرة الممنوعات ..؟

– ممنوعات .. وهل الممنوعات لها دخل في الغرائز والجنس ؟

– نعم...ما تكلش الفلفل ... فللفلفل (عمايل) كما يقول إخواننا المصريين .. ما تكلش البصلة..ما تشربش الشاي..القازوز ممنوع.. حتى القازوز فيه مواد تحرك الأعصاب..بالصح تنشط الغريزة الجنسية

– كاين محابسي دخلوه شهر على صحن لوبيا..؟هل اعتدى على ملك اللوبيا المشهور بالعاصمة ؟

– لا هذا و لا ذاك ..فقط دخل مطعم و لم يدفع الحساب .

– حسبت أنَّه تحركت غريزته الحيوانية عندما انتهى من أكل اللوبيا ..

***

سبحان الله شهر سجن مدفوع التكاليف من خزينة الدولة من أجل خمسين دينارا ..تصوَّر أنَّ يومًا واحدً في السجن يكلف ميزانية ضخمة تصرف على المحبوس

– علاه كاش ماك دافع من جيب أبيك، ياخي رزق البايلك

– البايلك ..البايلك، لقد افرغوا الخزينة

٨٠ دج للوجبة، يعني في اثنين غداء و عشاء هي ١٦٠ دج

٢٥ دج للإفطار، تكاليف الحراس + الكهرباء + الماء +المتابعة الصحية + الأوراق + عملية الترحيل، تفوق ١٠٠٠ دج. بحساب بسيط ١١٨٥ لليلة الواحدة، و الله بايت في الأوراسي أو فندق سان جورج، و الشهر يعني بعملية حسابية بسيطة و بدون الرسم على القيمة المضافة ٣٥٥٥٠ دج ..هذي شهرية انتاع مدير تنفيذي بخصم القيمة المضافة من رشوة و تبزنيس وسرقة واكراميات.. طبسي لوبيا يفوق ثلاثة ملايين ونصف ؟

– و أنت على من دخلوك ؟

ـ أنا دخلوني على الكيف ..

– انا على الزطلة ...

– انا على الحشيش ...

– انا على المردومة ..

الله يبارك، كلها (جيجمة) واحدة ... رااني نشوف فيكم قاع فارحين.

– بالصح يخرجوا منها كي الشعرة من العجينة .. راهم متكلين أو دافعين الدراهم ...

– راهي قريب (لاقراص) ... فمولانا سيصدر عفوه

ـ ربما سيكون شامل و يشملنا نحن كذلك؟

بفضله و عفوه اتكل على هذا الخبر ... فلن يكون العفو سوى للبعض يقول الشيخ الحكيم

- يالشيخ أنا جابوني على الفعل المُخِل بالحياء و..

- الشيخ و الجماعة مقاطعين: اتفوك بيك..اعلابيها انت منزوي تنظر إلينا من تحت إلى تحت

- يالجماعة هذا هو الراجل و يستفيد من العفو

الكل مستغرب..

كيف يستفيد راه فاعل فـ.....

- اعرف و لكنه سر من أسرار الدولة

- الشيخ اللعب راه أغلاظ خالونا نرقدوا

صوت في القاعة ٣ المجاورة كان يسمع لحديثنا من خلال الأبواب شبه المفتوحة، فهي عبارة عن شبابيك مغلقة بإحكام

ـ خاوتي يرحم باباكم إذا كنت تعرفهم ـ فهل نحن فيهم ؟

- مَن ؟

- اللي رايح يمسُّهم العفو الرئاسي

أوَّل مَن سيستفيد هم المتهمون بالفعل المُخِل بالحياء

ـ الفعل المُخِل بالحياء ؟ مُتعجبا

لا تتعجب يا صديقي

فقد تعودنا عليها من مولانا السلطان رعاه الله و حفظك من الأفعال الشينة، بالإضافة إلى تجار المخدرات و الحبوب المهلوسة

- و نحن؟.. مُقاطعًا.

- من أنتم ... أنتم مَن توقضون السلطان من أحلامه .. و تفكرون في إزالته من على العرش ..ألا تدرون أنكم بفعلتكم هذه .. تريدون أن يشيع الفساد في الأرض .. ويل لكم أيها المتخاذلون ... اللعنة ... اللعنة عليكم.

***

- الدولة يدها طويلة ...

أقولها بكل اللغات و اللهجات و الرموز

أعرف بأنَّه قالها بنبرة فيها حزن عميق جراء تجربة سنين طويلة من المعاناة و الحرمان

ـ و لكنني أحمل قضية عادلة ..يجب أن يكون هناك عدل، و أن تتاح الفرص أمام هذا الجيل ... جيل الغضب

- قل الدجال و ليس جيل

- حاشا .. ؟!

ما ذنبنا أن كنا خلقنا في مملكة الاستبداد و الاستعباد، رحمك الله يا كواكبي ليتك بيننا لكي ترى(استبدادك) يُطبَّق ميدانيا ..

و مـا أعجـب أفـكارك أيُّهـا الفـارابي و أنـت تتخيـل (أهـل المدينـة الفاضلـة) ميدانيـا؟

أيَّـة أفـكار هـذه ؟ كنـت أتصـوَّر الفـارابي و الكواكبـي و حتـى أفلاطـون معـي في المملكـة .. فهـل سـيعدلون عـن أفكارهـم ؟ رُبَّـما .. الله أعلـم ..رُبَّـما سـيحرقون كتبهـم تيمُّنـا بـأبي حيـان التوحيـدي ؟ و لكـن أيُّ إمتـاع هـذا و أيَّـة مؤانسـة، و نحـن نـرى مَـن يحكمـون بأمـر السـلطان يتلـذذون بـآلام الرعيـة؟

اقـرأ المقابسـات و اقتبـس منـه أيَّـة قصـة ... أو حكايـة أو روايـة أو حكمـة أو... أو..لكـي ألهـو بهـا .. أو لآخـذ العـبر و المواعـظ؟ لا. لا عقـب الوقـت؟

نسـيي روحـك .. ! رُبَّـما سـأقرأ روايـة (اخـرجْ منهـا أيُّهـا الملعـون) لأبتـلى بأفـكار كاتبهـا .. أطلـق الله سراحـه فهـو كذلـك مسـجون مثلنـا لكـن بـين أيـدي المارينزالمارينـز أرحـم مـن البوليـس عندنـا ؟ بـل و أحـنُّ منهـم ؟! لمـاذا لا يوجـد ضرب و تعذيـب و أعـمال شـاقة بسـجننا ؟ليـت كل السـجون مثـل أبـو غريـب!

على الأقل لنحس بالذنب ..

أيُّ ذنب ؟

– فنحـن لم نقـترف أيَّ ذنـب، و لا أي جُرْم لكي نُحاسَـب عليه..... كان يمكـن أن يكافِأنـا ...»هـل جـزاء الإحسـان إلّا الإحسـان»؟

***

كان يُحدِّق فيَّ كثيرًا ...عيناه مثل عين الصقر الذي ينظر إلى صائدة

لا بُدَّ و أنَّه كان يريد أن يقول شيئا ما .. ألم يقولوا : سَل مُجرِّب ولا تنسَ الطبيب ...؟أتذكّر دائمًا مقولته السابقة : «الدولة تأكلك لحم و تلوحك عظم»، فطيلة احتكاكي بالمسئولين أحسست بهذه الحكمة بل عايشتها ...لكن كان يريد أن يساهم على الأقل في الحركة التصحيحية

كلنا من أجْل تصحيح الأفكار و المنظومة الفكرية للرعية، هكذا أراد أن يفهم الشيخ و الحكيم و المقربين و الأهل و الأحباب. لكن لَمَن تقرأ زبورك يا داوود؟ العقليات تختلف ... و كل هذا الحديث كان بناء على ما رأى الجميع من قسوة و ظلم ....و الاحتكاك لا ننال منه سوى المساوئ، و رُبَّما اننا نعتدي منه. فقد نُصاب بالأمراض و الجرب ..

- الجرب و الحكة أحسن من الأمراض التي تصيبهم

- بل أرحم

- هذه ارحم (قالها مُقاطعًا) هناك أمراض جنسية قد تصبح مثلهم!

- خلّينا من السياسة..

- هذه ليست سياسة، بل واقع، الله يحفظ.

***

- يانـا يانـا يـا حبيبـي و امـوت انا..حُـب أيـه الـلي انـت جـاي تقـول عليـه صاحبـي يغنـي و يرقـص و كأنـك في بيتـه

- انا في بيتي؟

- الـزوالي مكانـه السـجن ....الله لا تربحكـم اتركونـا ننـام فصوت رئيـس الاحتبـاس ما زال يشـوِّش أفـكاري.

- 3 -

الحاشية كانت دائما تقف بالمرصاد لكل من يحاول أن يقول: لا للحاكم .. و رُبَّما كان مصيره مثل مصير صاحبنا المَرمِيّ الآن في السجن ...

ـ الإعدام أرحم ..!

قلتها و أنا في كامل قواي العقلية. هذه خلاصة تجربة أيام و أشهر عديدة داخل السجن مع المجرمين و القتلة و تجار المخدرات، إنَّه اعتراف صريح بأنَّ التُهَم المُركبة من طرف العابثين بحياة المواطن لم يكن لها أي أساس ... اكتب عندك في الدفتر:

القذف ..السب غير العلني، السب المباشر..الشتم ..إهانة مسئول أثناء تأدية مهامه ..إهانة هيئة نظامية ..إهانة موظفين.. حمل سلاح ناري بدون رخصة ..السرقة ..النصب والاحتيال.. النشاط في جمعية غير مُعتمَدَة ..توزيع منشورات تحريضية ..السعي لقلب نظام الحُكم ...الإخلال بالنظام العام ..و البقية تأتي ..

كلها جُنح من أجنحة النظام .. عفوًا جُنح الظلام... الحمد لله أنَّهم لم يتهموني باللواط أو وجدوني في فراش زوجة مسؤول..

- الا يعتبر هذا قذفا للمحصنات ؟

- اطلاقا لا، فأنا أعرف مسؤولين بارزين و شخصيات سامية و حتى سامة في الدولة تمارس العُهْر في مكاتبها، و لم تسلم لا العاملات ولا الزوجات و لا حتى العجائز من تحرُّشهم و تهديدهم و إن لم يرضخوا فمصيرهم الطرد

- أليس قطع الارزاق من قطع الاعناق؟

- نعم إلّا في بلادي...فقد فعلوها في السابق عندما عاملوا أرامل الشهداء على أساس أنهنَّ عبيد تم توظيفهنَّ كعاملات في مكاتب الحركى و زريعة فرنسا، كانت أرامل الشهداء مُجرَّد(فام دومينـاج) في مكاتب السادة الجُدُد من مَكّنتْ لهم فرنسا ليحكموا باسمها كانوا يتلذذون بمؤخراتهنَّ وهُنَّ يقمن بأعمال التنظيف و (تسياق) المكاتب لم يجدن غير الأعمال الشاقة في جزائر الاستقلال التي حكمها أبناء ديغول و اليوم تتشابه القضية بعد اكثر من أربعين سنة من الاستقلال.

- تصور معي انه حتى بنات الشهداء و أحفادهم و أرامل المجاهدين و المجاهدات و بنات المجاهدين و كل شريفة يساومونها في شرفها..إنَّها الغريزة الحيوانية..

- لا تظلم الحيوانات.

– إنَّ شعارهم دائما : حولوه الى جلفة فان بها ..... وبها الكثير: البرنيس، زيد الكبش (صوت الحارس وهو يستمع الى حديثنا)، الرخوف، السُكنَى، أعرفهم مَن جاءوا إلى مدينتي، دخلوا يبكون وخرجوا يبكون

– و كيف لم يتهموك بالزنا؟

– وهل تظن ذلك زنا أو ماشابه، إنَّه مُجَرَّد عمل روتيني لإطفاء نار الغضب الشعبي. ثم إنَّ توزيع التُهَم يتم كما يحلو لهم و كيفما شاءوا ... و على مَن شاءوا.

– أتراهم (طحاحنة) الى هذه الدرجة

– إنَّه زمن الدياثة؟ مثل المحلف لا غِيرة و لا رجوله، أمَّا تكييف القضايا فيتم في المخبر بناء على الأوامر الفوقية.

***

– لكنك نسيت جريمة أخرى سيدي المحترم

– القاضي (مقاطعا) : نحن لا ننسى و لا نسهو

– إنَّها جريمة المتاجرة بالمخدرات بطريقة غير قانونية.

الحضور مستغربين و مذهولين:

– و هل هناك طرق قانونية و أخرى غير قانونية لترويج المخدرات ..؟

– و رغـم إننـي أعـرف أنَّـه يعـرف، ألا إنَّنـي أحيلـه عـلى الجماعـة الفـوق

سَلْ أسيادك يخبروك ؟

ـ الاتجـار في المخـدرات حِكرعـلى البعـض و لا يجـوز للرعيـة أن تسـاهم فيـه أو تتاجـر، فهـو يُـدِر الملايـين

هكذا كان يردد السيد القاضي الذي يحكم بأمر الملك ....

– القـاضي: أنـت في حـضرة المحكمـة الموقـرة، و لا يمكـن أن تتكلـم إلّا بأمـري . فأنـا الـذي لا يتكلـم عنـده أحـد و لا يسـأل عـمَّا يفعـل ؟

– نعـم هـذا مـا أريـده لقـد نطقهـا وقالهـا بفمـه: لا يُسـأل عـمَّا يفعـل .. لا يُسـأل عـمَّا يفعـل.. فـما زال يُردِّدُهـا حتـى قلـتُ ليتـه سـكتْ.

يسكت القاضي قليلا ...

– طِبقًـا لأحـكام المـواد ٣٠، ٢٠، ٤٠ ،٥٠ ٦٠، ٧٠، ٨٠، ٩٠ مـن القانـون الخـاص ،فـأنتَ متابـع بجنايـة الإخـلال بالنظـام العـام. و إفشـاء أسرار المسـئولين (الإداريـة، العمليـة، البيتيـة و السريريـة). و إهانـة النظـام العـام، و التدخـل في صلاحيـات الهيئـات النظاميـة ... مـاذا تقـول ...؟

– و الأسرار الجنسية و الغرامية لماذا نسيتها أيُّها القاضي فـ...؟!

(القاضي مُقاطعًا):

– لا تخرج عن السؤال و التزم بآداب النظام . ماذا تقول في التُهَم الموجهة إليك؟

ـ أنا أرفض هاته التُهَم جملة و تفصيلا، و الموجَّهَة إليَّ دفعة واحدة من طرف الجماعة ذات الأسهم في الدولة المشتركة...أنا أقرُّ بتهمة واحدة لم تذكرها طبقا للمادتين ١٠ و ١٠٠ من قانون الممنوعات

– القاضي: عن أي مواد تتكلم ؟

– المادة ١٠ و ١٠٠ من مجموعة الأوراق النقدية و المرسوم عليها الآلاف من العملة الوطنية و الأجنبية طبقا لقانون المالية ...أنا لم أدفع الرشوة كمقابل لدفع التهم عنِّي، التهمة الحقيقية التي أحاسب عليها أنَّني لم أساعد الحاكم أثناء تأدية مهامه .

– القاضي (مُقاطعًا) : أنتَ تُقِرُّ بالجريمة إذًا؟

ـ نعم حضرة السيد الرئيس و أطالب بإشهاد من هيئتكم على ذلك .

الجميع يستغرب ....هل أدان المتهم نفسه ؟

يُسرع كاتب الضبط (كعادته) لتحرير الاعتراف و يسلمه في الحين للمحامي الكبير صاحب الصوت الكبير و الذي لا يُفرِّق بين الشنفرى و مَن تأبَّط شرًّا.

ـ السيد الرئيس ... أنا أقر و أعترف و أنا في كامل قواي العقلية و في حالة نفسية جيدة غير مُكرَهٍ و لا حانثٍ... بأنَّني لم أساعد الحاكم و حاشيته في تأدية مهامهم

– إذا تعترف من جديد؟

– و لكنّك لم تسألني عن ماهية المُهِمَّة ؟

– ما هي ؟

ـ إنَّ بعض حاشية الحاكم ليست لهم مهمة سوى التلذذ بآلام الرعية، و بسط نفوذهم و سلطتهم و جبروتهم على الجميع ... فالحقرة صارت مرادفة ليوميات المواطن المقهور ... المُسلّطةعليه كل أشكال الإذلال والعبودية.. ما أقسى أن نحيا كما يريد الآخرون، إنَّه قدرنا، لا..ليس قدرنا.... بل أرادوا ... إن أردت..... و قد لا ننسى ما فعلته بطانة السوء يقولون للمسيء أحسنت و للمحسن أسأت .... و يُقرِّبون الكذاب و النمَّام و الذي يأتي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن

إنَّه زمن الرويبضاء..يُكذّبون الصادق و يُصدِّقون الكاذب.. يخونون الامين ويأتمنون الخائن.

– لا تنس قرار الإحالة الصادر عن غرفة الاتهام ؟

ـ دعهم يكيفون ... فأنا لا أعبأ بهم ...

هكذا نطق ...

– ما كانش الرحمة في قلوبهم

(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطا)

ـ إنها الخلاصة يا بني

يا حصراه ما زال يتكلم و يتحدث بملء فيه ....

– و علاه ما حرمتش..؟

((و إنَّ من الحجر لما يتفجَّر منه العيون والأنهار))

***

كنت دائما أتساءل عن القانون الجديد الخاص بالسجون أو اللجنة الملكية التي أنشاها مولانا لإصلاح أمور العدالة ..كان صديقي الوزير عنده برنامج طموح للإصلاح لكنه نسي نقطة أهم و هي إصلاح النفوس و تقييم القائمين على العدل ... لقد صقل أغلبيتهم عن العوج

لا تكن ليِّنا فتُعصَر ولا تكن يابسًا فتكسرْ.. و لا تكن جبَّارًا لتظلم الناس

أنا أعرفهم و هم لم يقرؤوا رسالة عمر في القضاء ،و لم يعتبروا من خطبة النبي في حجة الوداع ..و قد فهمها أبو موسى الأشعريّ و أبو ذرّ و قضاة كانت لهم بصمات في التاريخ ..واليوم هم ثلاثة اثنان في النار و الثالث على أبواب جهنم

– أعوذ بالله من غضب الله

– وعلاش ما تبطلش السياسة و الصحافة و تصبح مفتي أو داعية ؟

– أنا أكره هذا الأسلوب، و لهذا رفضتُ تصرفات عدد من الزملاء

***

كان أبي دائما يحدثني عن الباش آغا عبد الحفيظ رحمه الله وعن الرهبة و المكانة التي يتمتع بها في الأيام الأولى من استقلال الجزائر..من شدة عدله كانوا يسمونه عبد الحق

فقد حدث و أنه في يوم نسي مسؤول الاحتباس أن يعطي أحد النزلاء وجبة العشاء، و رغم أن الوجبة لم تكن سوى حبات من التمر (الغرس) الناشف و إذا بالسجين يستنجد بالباش آغا ...ثم أمر الباش آغا بإحضار السجين الذي لم يتعشى رفقة رئيس الاحتباس الذي لم يكن شخصا غريبا بل كان أقرب الناس إليه و هو والده – وعندما ذكر رئيس الاحتباس عذره وهو أنه نسي، أمر الباش آغا أن يوضع والده في السجن و يبيت ليلة حتى يحس ويعرف معنى التقاعس و اللامبالاة ....

ما أجمل أن نحلم بالعدل ... الذي كتب لنا أننا لن نراه من جديد .

سجوننا كلها تشبه سجن القلعة..لكننا قلما نجد ابن القيم و شيخه الذي مات داخل السجن ...فالقاضي هو الذي أوصلنا إلى هنا ... سواء من تلقاء نفسه أو بأمر من السلطان ....

***

أتذكـر أنَّنـي بعـد مرافعـات هيئـة الدفـاع و المشـكلة مـن خـيرة المحامـين و بعـد أن التمسـوا الـبراءة ....كان طلـب آخـر المحامـين نفـس الطلبـات ....

- القاضي : الكلمة الأخيرة لك ..

- المتهم: احكم بما أمروك به ....

ورغـم أن القاعـة و الحضـور تعجبـوا مـن ذلـك ،إلا أننـي أعـرف أنـا و القـاضي و ممثـل النيابـة العامـة و عـدد مـن المحامـين بـأن الحكـم كان مُعَـدًّا مُسـبقا ... طبعًـا مـع مراعـاة ظـروف التخفيـف .... !؟

المتهـم راض بالحكـم مهـما كانـت مدتـه طـال الزمـن أم قـصر ... سـيكون الفـرج غصبًـا عنكـم يـا.....

***

اشـتدِّي يـا أزمـة تنفرجـي ... لقـد تذكّـر المنفرجـة، مـع إنَّـه نـسي عـدد أبياتهـا و لا زال يتذكـر قـول الأفغـاني و لا يتسـع الأمـر إلا إذا ضـاق ... إلّا إذا ضـاق ..إلّا إذا ضـاق ..فـما زال يُكرِّرُهـا ...و هـي تضيـق و تضيـق بسرعـة الضـوء، مسـكين دخـل مـن أجْـل قضيـة .. فأصبحـت أكثـر مـن النجـوم المرسـومة عـلى رايـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ..و ضحـك حتـى بانـت أنيابـه. كثـرة الضحـك تميـت القلـب.. و كثـرة القضايـا و الوقـوف أمـام المحاكـم .مـاذا تفعـل؟ .. لمـاذا دائـمًا يحـاول أن يتفـوق بأفـكاره ..؟

سـؤال نتركـه ...أو بالأحـرى نبتعـد عنـه ..لأنَّـه بصراحـة – لا إجابـة لـه...

ـ يا ربي ... وش درت في حياتي

ـ درت الخير ... (ردَّ على نفسه)

لقد أحسَّ بالظلام وهو يعيش داخل زنزانته ....الأنوار تشع و تسطع من كل الجهات بأكثر من ألف فولت ....الحمد لله أن أيدي شركة الغاز لا تلحق للسجن لتقطع التيار الكهربائي فهذا الشيء متفق عليه مُسبقا ...ماذا لو كان في كل مدينة سجن؟ أحسب بأنَّ برنامجًا جديدًا للإنعاش الاقتصادي و الكهربائي يخصص له دعم مالي من النفقات البترولية لتمويل ١٥٤١ سجن موجود ببلديات الوطن ... و تُعمّم الكهرباء على السجون... أرجو أن يكون هذا ضمن مقترحات لجنة إصلاح السجون و المؤسسات العقابية، ألم يقولوا: بأنَّ السجن إصلاح و تأهيل ..؟ مع إنَّني أضيف بأنَّه أخلاق و تقويم فقد دخله عدد من أبناء العائلات المُحترَمة و من ذوي النفوس العالية..لكنَّهم تعلموا فيه كل فنون السب و الشتم و القدح

ـ حاشاكم موسوعة طياح العيب و القدر ....

بل موسوعة للأخلاق الفاسدة تحتاج إلى كاتب عديم الضمير و الأخلاق و الاحترام ليلصقها ببعضها و يجمعها . و لأنني أعرف بعضهم مِمَّن دخلوا عالم الكتابة من الصحفيين وأشباه المراسلين و القصاصين و الشعراء الوراقين .. إلّا أنَّني أشفق عليهم و لا أقترحهم للجنة حتى لا يلوثوا تلك الألفاظ البذيئة... و التي كان لهم شرف اختراع بعضها ولا ينقصهم سوى تسجيلها بديوان حق المؤلف و الحقوق المجاورة، ومن ثم الحصول على براءة الاختراع ...

ـ كل الدواوين عبارة عن مواخير و أوكار للعهر ..

ـ حاشا نقص شوية (صوت داخلي) ....

أكاد أجزم بأن العهر سيكون له شأن عظيم و سينال من أعرفهم حظهم منه و سيكونون من المُقرَّبين ...

***

إنَّها دولة العهر و المواخير و الدعارة و، و ....

ـ والغواني والعربدة

- وش دخلك

- أنت دائمًا تخلط بين مفهوم الدولة و السلطة ....

كنت كمن يمضغ المصطلحات ... و يخلط في المفاهيم ..الحمد لله أنَّ الله أنقذني من نفسي و إلّا دخلتُ في عالم المجادلات، كان يقول لي:

التعالم مفسدة للدين و الأخلاق

- احذر الغرور؟

و كثيرًا ما كنت امتثل لنصائحه ...ذكرتني هذه الواقعة بأمٍ توصي وليدها حينما كان سيحضر المحاكمة

ـ يا وليدي قدَّام القاضي ألعبها مهبول أو ماك فاهم و الو ...

الحمد لله أنَّني وجدت من يؤمن بنظرتي الجديدة ..إنها التحمارت ....

ـ لـو كان داروين حيًّا لجادلتـه و ناقشـته في نظريتـه. فأصـل البعض مـن بنـي الإنسـان حمـير، ولا يلـدون إلّا حمـارًا ..تبًّا هـذه نظريـة أخرى ...أعـرف في مملكتنـا الممتـدة الأطـراف، مَـن هـم ينتمـون إلى فصيلـة الديناصـورات حسـبما بيَّنتـه الحفريـات و الآثـار التـي تدل عـلى ذلك .

– ليس في الخلق ... ليس في الخلق

– لا، في الأصل الحركي و السلوك ...

***

هنـاك مَـن يتناسـى بـأنَّ التطـرف في الفكـر هـو أصـل المصائـب..و مـاذا عـن اللذيـن يفكـرون بنقـص

– التكفير (قالها من بعيد)

– نحـن بعيـدون عـن مجـال التكفـير الـذي أوصلنـا الى مـا لا يُحمَـد عقبـاه، لـو كان في التفكـير ... لدُمِّـرَتْ الأرض تدميـرًا، كثـيرًا مـا كان يناقـش سـلوكيات سـكان المملكـة ففيهـا العنـف و التكـبُّر و الإذلال و السـكوت عـن الحـق و المداهنـة و النفـاق.

– لازم تعـرف بـلي المنافقـين – مـا أكثرهـم – في الـدرك الأسـفل مـن النـار

ـ راني عارف و لكنني.....

– و لكن ماذا، قلها و لا تخَفْ ؟

ـ أنـا أخـاف أن أذكـر الآيـة حتـى لا يتهمونـني بأنَّنـي أقـدح في درك مولانا السـلطان

بالرغم من أنَّ القضية لا تعدو مجالًا كتابة مقال حول القائد الهمام الذي يحلوا له أن ينتزع بطاقة تعريف وطنية لأيِّ شخص كما ينتزع الاعتراف في أماكن نعرفها جيِّدًا، ألا إنَّه وجد تعاطفا من السرب لأنَّه عقيد و لا يفرق بين السين والصاد .كما لم تفرق الجميلة بين الضاد ولغة الآي أي ولا بين يوسف ادريس أو ميلوزوفيتش..؟

– القاضي لم يسألني عن الفارق بين سرب البوسنة و الهرسك و أسراب الطائرات الحربية ...

و كنت أشكك في الرتبة التي تقلدها الكولونيل في إمارة من إمارات المملكة لأنَّ السرب هو مَن دفعني إلى التشكيك في ذلك... بالصح نسيت بللي القاضي لم يعرف التربص، أو رُبَّما يستحي من فعل انثوي قح

ـ أنا أعرف أنَّ التربُّص للنساء...و القضاة هل يتربصون .....؟

تهمة جديدة ... سيعاقب عليها، إن آجلا أم عاجلا

ـ أنت تهين هيئة المحكمة الموقرة: السيد الرئيس المحترم، السادة المستشارين، السيد ممثل الحق العام

– باسم مولانا الملك ... أعتذر ... شكرًا

ـ يا ملعون تعتذر ..ضرك تشوف

ـ يا سيد سبينا حصلنا، اعتذرنا حصلنا، الله يسلك على خير.. لا تعتذر

ـ ياو ... دزوا معاهم ؟..اخلاص وصل الموس للعظم

– هل تعي ما تقول أيها السافل ....؟

ـ سيدي أنا سكران ... و لا أدري ما أقول ...كل هذا من تأثير المخدر ... و الحبوب و الأقراص المهلوسة ....

فقد أعطوه كل تلك المخدرات اثناء خروجه من القاعة رقم ٢ من السجن لحضور المحاكمة

– ليس ذنبي أنَّني خُدِّرتُ و تعرضتُ لعملية تخدير مقصودة.. كيف تحكمون على واحد زاطل موش عارف وش يقول؟ الآن تأكدت من تصرفات هيئتكم الموقرة صدق نظريتي ...الحمد لله أن لا توفيق الحكيم و لا رضا حوحو بيننا ...و هل يمكن أن يكون هناك ارتباط بين حمار الحكيم، و حمار المجرم الذي يحدثكم! ؟ تحمارت ... تحمارت ..أصل الإنسان (حاشا) هذا الشطر خارج عن القصيدة

لا الوزن و لا القافية يسمحان بذلك حتى وإن سمح مولانا السلطان ...

– أنت تقدح في أملاك مولانا؟

ـ هل هذه تهمة جديدة ؟

– نعم ... و ستشنق عليها لتكون عِبرة لكل الحمير

– الحمير لقد قالها القاضي ...!

– فهل صدقتْ نظريتي؟

ـ لا تـدرك أنَّ تفكـيرك يقـودك بعيـدًا، فأنـا أتكلـم عـن الأصـل و ليـس عـن الفـرع

ـ ولكن ماذا تقصد أيها القاضي بأمر الملك ؟

ـ أقصـد أحمـرة الملـك التـي تجلـب لنـا الـزاد مـن مملكـة جارنـا الملـك، فلولاهـا مـا اسـتطعنا تخديـر الشـعب و السـيطرة عليـه حتـى سسـناه بهـذه الطريقـة

ـ بوك ما يعرف خوك

ـ إنهـا سياسـة السـيطرة ...فـرِّقْ تسُـدْ... سـيطرْ تسُـدْ ..مـا أكثـر المنظريـن!

– القـاضي: أنـت تهـين هيئـة المحكمـة التـي تصـدر أحكامهـا نيابـة عـن مولانـا و باسـم الشـعب.

– دائـمًا يريـدون أن يحاكمونـا باسـم الشـعب و الإرادة الشـعبية و مبـادئ و قيـم الوطـن و لكنهـم بعيـدون عـن الحقيقـة ...؟ و هـل نسـيتم يـا سـادة أنكـم اسـتعبدتمونا باسـم الشرعيـة الثوريـة والجهـاد وتواصـل الأجيـال ؟ و لم تسـلموا لنـا المشـعل..قعدونا عـلى قرعـة باسـم الشرعيـة الثوريـة

– مـع الفـارق في السـن..؟ صرخـة مـن الداخـل لمواطـن مقهـور، قالهـا بصـوت مرتفـع بـدون خوف..إنهـم ينظـرون اليـه..و لكنـه بقـي يتمتـم، كـما إنَّـه يتنهَّـد:

ـ لا يمكـن لأحـد أن يصـدر أحكامًـا مُسـبقة ضـد العدالـة و نزاهـة القضـاة و حرصهـم عـلى تطبيـق القانـون و صيانـة مبـادئ العـدل ـ يضيـف القـاضي ـ

ـ و لكـن السـيد القـاضي المحـترم كُنَّـا دائـمًا ننشـد العـدل و قضيتـي المطروحـة أمامكـم بالإضافـة إلى آلاف القضايـا التـي فصلتـم فيهـا هـي نمـوذج...

ـ القـاضي (مقاطعـا): مـاذا تريـد أن تزيد؟..تهمتـك واضحـة فأنـت متابـع بجنحـة القـذف في هيئـة محترمـة و التشـكيك في نزاهتهـا و اسـتقلاليتها؟

يـا حسرتـاه يـا القـاضي راك قـا اتقـود...وش راه يخـرط .. و يخرفـط.. و يخلـط.

***

- 4 -

لم يكـن سـوى قـدره الـذي سـاقه إلى هنـاك ..هـو يقـضي أيامـه بالسـجن فـلا أحـد يعلـم بالتحديـد طبيعـة مشـكلته ولا التُهَـم الموجَّهـة إليـه. فـكل يـوم يخرجونـه للمثـول أمـام القضـاء. في المحكمة في مجلـس القضـاء و(القـدر). حتـى الأخبـار التـي تصـل المسـاجين ناقصـة غـير واضحـة الرؤيـا و المعـالم، هنـاك تشـكيك كبـير في قضايـاه.... رُبَّـما اعتـبر البعـض أنَّ هنـاك مبالغـة في القضايـا المتابع فيها

- لا هو جاسوس لينقل اخبار المساجين

- هههههه...قهقهـة انتقلـتْ حتـى آخـر قاعـة و امتـدَّتْ إلى منتصـف الليـل.

ـ راك تتقاعد بيا يا خو ...

ـ وش حبيت اتقول

جملتـان قالهـما لي أحـد السـجناء بلهجـة إمـارة مـن إمـارات المملكـة و مـع أنَّنـي كنـت أصدقـه القـول ... إلّا أنَّـه رأى في جـوابي اسـتهزاءً بـه

ـ حب يلوحني في الثقيل ...سمعته يقولها بينه وبين نفسه

ـ ماذا تقول

قال: لا شيء .. أنا أستغفر لك ربي ...ربي أغفر لنا جميعا.. و يغفر للسُلطة وكل واحد يطلب على قدره .

– لن يغفر لنا لأنَّ ظروف الاستجابة غير مُهيَّأة و أركان الجريمة ثابتة. فلا غفران لمعارض للسُلطة ولا توبة له

– رحمة ربي واسعة، و ملكه أوسع ..

و الدولة يدها أطول، و اللي تديرو بين العينين راح فيها

ـ ياو أتفرت فيه

ـ تهردت عليه

ـ خلات عليه

– خليها تخلى، الموت أرحم.

– أي حياة هذه التي نحياها و كأننا في الطابور يوم الصراط ...

يجب أن نُفرِّق دائمًا بين مفهوم السُلطة و الدولة هذه معركة أخرى (معركة المفاهيم) مع احترامي لصاحب الكتاب ... بل معركة الأفكار في العالم الآخر ..فماذا كان يقصد مالك بن النبي حينما طرح جملة من المفاهيم للرد على أصحاب الخطأ من حاملي الأفكار؟ فلا يمكن أن تكون هناك شروط للنهضة ما لم نعرف الظاهرة الحقيقية لمعرفة الأفكار...أيمكننا

أن نجمع في فكرة واحدة بين الفارابي و أفلاطون ..و ابن رشد

ـ ابن رشد لا ... يكفيه ما وقع له فلو ذكرته سيعمدون إلى حرقك وحتى حرق السجن بمن فيه

– السجن مقبرة الأحياء ..هكذا قال عمي أحمد البنو جلالي

مثل المقبرة ما تقضاش الدفينة إلى يوم الدين مع أن الطالب قال لي:

ـ عندك الحق ... استعينوا بالسر على قضاء حوائجكم أي حوائج؟

الحبس ما فيهش الأسرار ..ياو ما عندنا ما ندرقوا .. عدوك ما تتمنالوش الحبس ... بدون علامة التعجب ـ و بدون استفهام كذلك.

***

أتساءل كثيرًا: هل نحن في سجن؟ ..على الأقل كان يكون ضمن البرنامج ساعات للتعذيب الجسدي و الترهيب النفسي ...كنت أتخيَّل أن يرموا لنا عقربين (سوداء و أخرى صفراء) داخل القاعة سِرًّا و يُنبئونا في الليل بوجودهما ... و تصوروا ما تكون عليه حالتنا ..قد يختلف الوضع ...

عندما يكون يوم في الأسبوع يحتفل به المساجين يسمى عيد الكلب ..

كان يمكن أن يكون هناك كلب (دوبر مان) أو (بيرجي الماني) و يطلقونه في الساحة على بعض المساجين بعد أن يربطوا

في مؤخـرة كل واحـد منهـم قطعـة مـن اللحـم .. غيرالمجمـد ... بـل لحـم الخـروف المحـلي المرتفـع الثمـن ...فالكلـب مثـل بعـض المسـؤولين الذيـن لا مسـتوى و لا اخـلاق لهـم و يوجهـون إلى هُنـا عقابـا لهـم او يعينـون فيهـا بالمعريفـة وهـم يتلـذذون بلحـم المؤخـرة و طبيعتهـم اكل الجيفـة و لـو كانـت مـن (الترمـة).

***

مـاذا كانـوا يفعلـون لابـن تيميـة في السـجن ؟ فمـع أنَّ الوسـائل التكنولوجيـة متطـورة لاسـتنطاق المسـجون أو لتعذيبـه في مملكـة مولانـا المعظـم .. فإننـي مؤمـن كثـيرا بعقليـة الجلاديـن المتطـورة و التـي لا تضاهيهـا أيَّـة تكنولوجيـا و لـو كانـت نوويـة، حتـى و لـو خصبـوا اليورانيـوم في جسـد المسـاجين.... وحتـى ولـو اسـتعانوا بحـراس سـجن مـن اسرائيل..نعـم بـدأ المسـاجين يشـاركون برأيهـم، و أضـاف سـجين آخـر

ـ يقدروا يسخنوا (اللدون) و يصبونه على المسجون

مسكين المحبوس أصبح حقلًا للتجارب ..

ـ لمـاذا لا يُجرِّب مولانا أسـلحته النووية و المنويـة في حثالة الرعية ....

ـ اعرفْ قدْرَكَ، أشكون الحثالة ..؟

نحن هم الحثالة ..زبالة المجتمع

***

- لا رحمة ..لا شفقة

- يا خي في قلوبهم الرحمة

- ياخي في قلوبهم الرحمة ؟..أمنين تجيب الرحمة؟..لقد ورثوا القسوة

أعلم أنَّه كل من دخل لسِلكهم، شقوا صدره و نزعوا منها بذرة الخير و زرعوا بذرة الشر و النفاق و الشقاق إلّا من رَحِمَ ربك! و الله غيَّروا فكرتي في الحجاج بن يوسف ..أقسم .بأنَّ الحجاج أحن منهم .. و ما فعله في أهل العراق أرحم مِمَّا فعلوه هم فينا و ما سيفعلونه، و ما زلتُ دائمًا أتذكر قول الشاعر الشعبي:

كي الكلاب مدربين على الحقرة .....

لكن عليه أن يبقى متفائلًا ذلك المسكين المرمي بالسجن .. و حتى و إن أرهبوه أو أرغموه على الاعتراف على أشياء لم يفعلها، لقد قال له: رحمة ربي واسعة .. و مُلكه أوسع.

ـ أوما تنساش كذلك ...؟ مُقاطعًا:

- أعرف ما تودُّ قوله: الدولة يديها طوال و اللي ديرو بين عينيها راح فيها

ـ عندك الحق .. راح فيها

لم يثنِ من عزيمته هذا الكلام ولا هذا الوصف. لم يستطيعوا أن يخوِّفوه.

***

– القضيـة عادلـة و إنسـانية، و الدليـل التضامـن الـدولي الواسـع، حتـى فئـات مـن الداخـل تضامنـت رغـم هشاشـتها.

– تقصد الفئات الهشة، لا أحد يراعي لحديثهم و لا لتحركهم.

– يعني أنت تحتقر الناس و عندك نظرة دونية.

– يـا نـاس قضيتـي عادلـة و ليسـت شـخصية و لا هـي تصفيـة حسـاب مـع أطـراف، و لا أحـد دفعنـي للكتابـة. إنَّـما عـبَّرْتُ عـن رأيـي بصراحـة في احـداث . و كتبـتُ عـن ملفـات و تجـاوزات و عـن الفسـاد.

– الفساد؟ أنتَ نوع من الفساد.

– هكذا يريد ان يُفهمهم، لكن لا حياة لمن تنادي

– انـت تعـرف اكثـر مـن الحكومـة؟ ..انت مجـرم و زنديـق و عربيد.

– يـا لطيف تطـور اللعب و وصـل الى العربدة والزندقـة والعياذ بالله

– أيُّهـا السـادة معـشر المسـاجين أنـا احمـل مـشروع حضـاري، مـشروع تنويـري لإيقـاظ النائمـين و تنبيـه الغافلـين، يجـب أن نـدرك الخطـر المحـدق بنـا. نحـن في ورطـة و سـتدفعون الثمـن غاليـا. و الأيـام بيننـا

الخطورة تكمن في أنَّ الشعب يعرف كل شيء

– الشـعب متواطـئ يـا نـاس و هـو يـدري ..عـارف كل شيء.. المشـكل يكمـن في أنَّـه وجـد نفسـه وحيـدًا سـقط في فـخ السُـلطة و هـو في ملعبهـم و سـيجعلون منـه كـرة تتقاذفهـا المصالـح.

- المصالح (اطلق قهقهة كبيرة)

- كل المصالح في يد صاحب الشان. لا فرق بين السُلطات.

- أنا اقصد مصالح الأمن و الإدارة و القضاء.

- يا لطيف ما اجتمع هؤلاء إلّا ....

سكت لأنَّه أحسَّ بحركة أقدام أمام الباب الرئيس المُؤدِّي لغرف السجناء . والخوف مذهب ياصديقي

عمِّي أحمد السجين الذي يقضي عقوبة عشر سنوات بسبب قضية ثأر بعدما انتزعت منه أرضه و منحت لأحد الأعيان من جماعات المال الفاسد قال لهم بأنَّه يعرفني و قد سبق و أن كتبت عن معاناته مع القضاء و الظلم ..السجين سي قويدر يتدخل في النقاش:

- إنَّني أعرفه و سمعت عنه و اطلعت على كتاباته.

- لأنه يحمل مشروع حضاري ..(قالها أحد السجناء مُقاطعًا)

و الآن تنفّس الصعداء..الحمد لله أنَّه وجد مَن يفهمه.

- إنَّ صاحبنا له أهداف و برامج و مطالب مشروعة. كان يريد أن يُقدِّمها لأولي الأمر من أجْل رفع الغبن عن الرعية ..إلمْ يقلْ الكواكبي:

(ما أشبه المستبد في نسبته إلى الرعية إلى رعيته بالوصي الخائن القوي يتصرف في أموال الأيتام و أنفسهم كما يهوى ما داموا ضعافا قاصرين .. فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ

الأيتام رشدهم كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم كيف يسمحون لنا أن نتنور سواء بالعلم أو بالسُلطان، إنّنا خطرٌ عليهم و على مصالحهم و على مكاسبهم..

***

- من أيِّ المعادن هؤلاء ...؟

تراهم يتلذذون بآلام الشعب . همهم البقاء في السُلطة و إمساك الرعية بيد من حديد.... لا بل بالحديد و النار . و السلاسل

يُضيِّقون الواسع، و يرون العدالة و المساواة من نقطة ضيِّقة. إنَّهم يحكموننا باسم الشعب فهل هي سياسة الشعب؟ بل هي سياسة هف تعيش، كما كان يصورها لي صديقي الأستاذ ناصر.. رجل طيب القلب صادق في القول، حلو السريرة، كريم الخلق ألعالم بالأنساب، عيبه الوحيد أنَّه نزيه و لا يتلقى الرشاوى و يعمل بإحدى ممالك السلطان بكل إخلاص .....يلقبونه بالمجنون.. جايح، ما يعرفش صوالحه ..ما خدمش كيما أنتاجوا ..لكن الحمد لله أنَّه فضَّل ديوان الإدارة على سلك العدالة..

أعيدها للمرة الألف إنهم دائما يريدون أن يحكموننا باسم الشعب ...

***

- و مازال هناك مَن يتكلم و يرفع صوته عاليًا...

صرخة من داخل قاعة المحاكمة لمواطن مقهور، قالها بدون خوف:

- لا عدالة .... لا شعب، اخطونا من الخرطي انتاعكم !

المسكين تهردت عليه، اليوم يرفعوه .

لا يمكن لأحد أن يصدر أحكام مسبقة ضد العدالة و نزاهة القضاة و حرصهم على تطبيق القانون ....

- وصيانة مبادئ العدل ـ يضيف القاضي ـ

ـ و لكن السيد القاضي المحترم كنا دائمًا ننشد العدل...

ـ تنشد العدل .. أيُّ كلام هذا .. و أيَّة خرافة ..؟

لم يكن يدري و هو المسكين العارف بخبايا النظام و دواليب الحُكم بأن كل شيء فيه مُركّب على الفساد

ـ عمره الكلب ما يأكل خوه

مثال تذكره و هو يعيد شريط الذكريات ..

(الساكت عن الحق شيطان أخرس)

- مَن يقول عندهم الحق أو يجهر به فهو أرخص و أخرس..؟ فهل يمكن أن يكون الحديث النبوي الشريف ينطبق على سكان المملكة ؟

***

ـ السيد القاضي إنَّ المتهم الذي اعترف بما وُجِّه إليه و بالإضافة إلى ذلك يهين هيئتكم الموقرة و أمام الملأ

(ممثل الحق العام يخرج عن صمته) :

ـ ونحن نطالب بأقسى العقوبات وعليه فطبقا لقانون العقوبات و قانون الإجراءات الجزائية والمدنية والقانون التجاري والجمركي وحماية البيئة والمحيط..وعملا بالمرسوم الملكي الذي أصدره الحاكم بإدانته نطالب بالإعدام ..قالها مستهزئا.

– الإعدام شنقا أم حرقا..! اشنقوني فلستُ أخشى شيئًا.

– لا...لا مستحيل

(صوت غريب ينبعث من بعيد)؟؟

القاضي : من الذي يصرخ ؟

– نحن لم نسمح لأحد بالحديث ... و من يريد أن يتحدث فليغادر القاعة

لم يكن ذلك الصوت، سوى صراخ مواطن تعرض للظلم ... و ضاقت به الدنيا..

أراد أن يحضر المحاكمة ليقف على حقيقة العدالة و خباياها.

و ليعرف ماذا يجري بقصرها الكبير

– أيُّها السادة (القاضي ينادي العسكر):

ـ أخرِجوا ذلك الملعون

المواطن المظلوم:

ـ الخروج أرحم (ضاحكا و بصوت مرتفع) و كأنَّ القاضي يتصوَّر أنَّه أخرجه من الجنة ....

كنت أتصور ما وقع لآدم مع إبليس حينما وسوس له و أخرجه من الجنة .. مع أنّي ما زلت أحتفظ بعنوان رواية الزعيم السجين (اخرُجْ منها أيُّها الملعون)

المواطن المظلوم (ساخرًا):

- اِبقَ فيها أيُّها الملعون (يقصد القاضي)

و انتهى الفصل بإخراج الشخص الذي صرخ في وجه القاضي. مع أن الأمر لم ينته بعد، و لم ينزل الستار و ما زالت فصول المسرحية متواصلة. و الجميع يمثل دور الكومبارس.

- القاضي: مَن يجرؤ على الصراخ أو حتى التنفس بصوت مرتفع داخل قاعة جلسات المحكمة الموقرة سينزل عليه أشد العقاب؟

هذا شعار يعرفه الجميع بل حفظوه عن ظهر قلب ..المسكين من كثرة ما أصابه من ظلم أراد أن يصرخ ..لقد نسي أنَّ الصراخ يزعج مولانا، و نسي أنَّ الصراخ داخل الهيئة الملكية تهمة يعاقب عليها القانون و تُسجَّل كجناية سب و إهانة هيئة نظامية ... سُلطة القضاء طويلة .. و متشعبة و أضاف قائلا:

– و أمَّا الصراخ في وجه القاضي الحاكم بأمر سلطان مملكة الشياطين أو داخل المحكمة فهو أعم و أشمل و لا حدود لعقابه و تلزم تجريده من كامل حقوقه المدنية و السياسية و الجنسية وإيداعه السجن بدون محاكمة!

***

مسكين المواطن الذي يعيش خارج أسوار السجن، فهو يتصوَّر أنَّ السجن جحيم و أنَّ فيه الحقرة و التعذيب ... كلها أحكام مُسبَقة من تأثير الأفلام إيه يا الفقير ..مكان الفقير و المُتشرِّد و المحروم و المدمن و اليتيم هو السجن، أكرِّرُها للمَرَّة الألف..

ـ أنت تناقض نفسك ...كيف تقول إنَّ السجن لا تتمناه حتى لعدوك ثم تقول أنه مكان الفقير و و و... فهو السجن في النهاية ...؟

– إنَّه أحسن مكان لهؤلاء فيه الأكل والأمان و راحة البال.

– أليس هذا هو التناقض بعينه..؟!

ـ أنا أقول الحقيقة ...فالسجن جنة المحرومين ... كل شيء موجود فيه إلا الأم و الأب

ـ ما تلقاش غير والديك ... صار هكذا ..!

ـ أنا عمري ما شفت مكان أحن و أرحم على المواطن مهما كان مثل السجن.

كان يتعجب من كلامه ...هل هو التناقض؟..ما هو موجود بالداخل لا يمكن أن تجده خارج السجن ...

– و لكن أؤكد لكم يا سادة يا كرام أنَّه سيان عندي وجودي بالسجن أو خارج أسواره..الكل سواسية الذين هم بالداخل أو الخارج. فلا مولانا و لا الحاكمون باسمه انتبهوا إلى البحبوحة التي يعيشها السجين و العناية التي تولى له، و المصاريف التي تُصرَف عليه ... هذه أسرار كان يمكن ألَّا يُخرجها للملأ ... و لكنَّها الحقيقة ..لم يكن يدرك من خلال كلامه هذا أنَّه يشجع بل و يدعو الناس للدخول إلى السجن ..إنَّني أوجِّه دعوة للرعية للتوجُّه إلى المؤسسات العقابية... كم مليون سيدخلون السجون ليرتاحوا على الأقل من تكاليف الحياة؟ « دار بلا كرا، و خبز بلا شرا «..رُبَّما سيكلف هذا السؤال السجن مدى الحياة، أو الإعدام .. كما وقع له من سؤاله البريء الذي حرَّض فيه الرعية على الانتحار ...كم مواطن سيحرق نفسه من اجل إسماع صوته ؟ هذا هو بيت القصيد ..مقال في جريدة يومية أخذ كل هذا البُعْد..مسكين وَرَّط نفسه مع النظام ..كم مواطن سيحرق نفسه من أجْل إسماع صوته ..يا له من سؤال كلف صاحبنا السجن، و تقييد حريته..و كم مواطن سيدخل السجن لتستقل العدالة ..و كم و كم و كم ....مسكين حبسوه و ترك أبناءه للشر و الميزيرية، هذا أقل ما يتحدث به أصدقائي. تبهدل في الدنيا. و رغم ذلك ما زالوا يتمنون أن يدخلوا السجن

ـ هذا جنون ...؟

ـ ليس جنون بل واقع؟

ـ كيفاش؟

ـ باش يقولوا بلي راهم رجّالة .. السجن للجدعان صدقها أخونا، الرجولة لم تعد مقياس ....الطمع و الرجولة خطان متوازيان لا يلتقيان إلّا في الجلفة، الرجولة و النيف أصبحتا مرادفتين للتبهديل في هذا الزمان.

– ولكن ليس كل ذكر رَجُل ؟ أعرفها حبيبتي و لكنها فحلة، الفارق فقط في لبس السراويل.

– و الله أريد أن أسأل: كم رَجُل يرتدي فيزوا تحت سرواله ؟

– فتشوا ابحثوا جيِّدًا يرحمكم الله لتعرفوا الفارق و تكتشفوا حقيقة أشباه الرجال و مَن يريدون إشباع رغباتهم من الرجال ؟ رَجُل كألف و ألف كأف ... و امراة تساوي عَشرة منهم لو كان تعجنهم ما ييجوا في ساق امرأة ...

***

- 5 -

- إن شاء الله الزوجة ما تطّلعش على الكتابات

ـ ياو راك خايف من زوجتك؟!

- (متعجبا) : .. و نحن ماذا ؟

- إنّنا ذكور ...و الذكورية ليست مقياس للرجولة... و لو قرأت .....

- كلا أكذب عليك أن قلت لك إنني أخاف غضبها كل واحد له نزوة...

- أما هي فـ....، بريء إنَّها الصداقة

- الصداقة (مقاطعا)

ـ أنتم دائمًا تحكمون على العلاقات البريئة ... لماذا لا يكون هناك علاقة صداقة بين الشاب و الفتاة .، بدون أن تدخلها العلاقة الجنسية .....

دائمًا مقاطع:

- إذا صاحَبَ القط الفأر

- بالصح راهم اصَّاحبوا - حاول أن يقولها بصوت منخفض- و لكنني سمعته، ضحك صاحبنا

- السُلطة مثل المرأة دوَّارة ما تعرف لا صُحبة و لا صداقة....

- ألم تظلموا المرأة أيُّها السادة الكرام؟!، لست نادمًا إن كنت جعلت من الأنثى صديق ..و رفيق..

ـ مسكين .. لا ادري من قالها....

- و لكن ما اجتمع اثنان إلا و ثالثهما شيطان ....

ـ أريد أن أسالك و تجيبني بكل صراحة: مَن هما «اثنان» ؟

- لو لم أعرفك لقلت بأنك تحتقرني أو تتغابى ...إنهما الرجل و المرأة

- أريني رجل واحد بيننا ... منهم مَن تلمس الأماكن الحسَّاسة باحثا عن أعضائها التناسلية

- (متعجبا).. و نحن ماذا؟

- نحن ذكور(هن) ... و الذكورية ليست مقياس للرجولة ... و لو قرأت كتب الأولين لعرفت صفات الرجل و المرأة، و معنى الذكر و الأنثى

ـ أريد أن أسالك ؟

ـ تفضَّلْ

– مَـن هـو الرَجُـل الـذي يدفـع أبنـاءه و يُحرِّضهـم عـلى القتـال في المعركـة؟

– يوجد الكثير...

– أعطني مثال....

– الخنسـاء.... نعـم الخنسـاء إمـرأة فحلـة و ليسـت أنثـى ..إنَّهـا رجلـة، فتصـوَّرْ لـو كان في مملكتنـا عـشرة مـن أمثـال الخنسـاء لانقلبت الموازيـن و لكنـك تعلـم أيُّهـا الطيـب بـأنَّ مولانـا يحـب النسـاء و يفضلهـن و يقربهـن حتـى اللـواتي لاتأتيهـن الحيضـة ....

– يرحم والديك ما ترفعش صوتك.. راهم يسمعوا فينا.. ؟

– مـا تخافـش هـذا واقـع، لا أريـد أن أذكرهـن بالاسـم، فهـن معروفـات في عـدد مـن الـوزارات و القطاعـات و الدواويـن و مُقرَّبـات جـدًّا....

– أنت لا تعرف خبايا الحُكم ...

– سـأعطيك سِرًّا أنثويًّـا مـن أسرارهـا ..تصـوَّرْ أنَّ حـكام مملكتنـا في عـدد مـن العـمالات في حكـم مولانـا حفظـه الله ... يبقـون مُـدَّة خمـس سـنوات و رُبَّـما أكثـر بـدون زوجـات ... ويصـبرون عـلى هـذه المعيشـة ....

– ما كانش منها ؟

– صدِّقْ أو لا تُصدِّقْ ....

ـ كيف يستطيع إنسان أن يصبر على زوجته مُدَّة من الزمن؟ أليسوا بشرًا؟

- أعرف أنَّهم بشر ....

***

ـ راك تطيح في العيب ..

ـ لا .. لا حياء في الدين

ـ بالصح و الله غير راك فتحت لي عقلي ... كيفاش حاكم عمالة يصبر على فراق زوجته ...مع أنَّه لا يوجد داخل قصره لا جواري و لا غواني و لا غانيات ..

- هذا الكلام اللي جابوني عليه للسجن ... فضح الحكام و السلطان و التحدث عن غرامياتهم و أسلحتهم المنوية الفتاكة... لقد تذكرتُ (دحمان البقل) وهو شيخ كبير حينما سأل ابن أخيه:

لماذا قلتم إنَّ الزعيم يملك أسلحة منوية (يقصد نووية)؟ فلماذا لم يستعملها؟

ـ يا عمِّي إنَّ مداه قصير لا يبلغ بعض الأمتار ..(كان رد الفتى في استحياء)

- خدعونا.....خدعونا رددها الشيخ بحسرة عوض أن تلعن الظلام أشعِلْ شمعة لترى بها أعضاءك التناسلية...

ـ راك تقـول بـلي عـوض أن تتحـدث عـن غراميـات المماليـك، نجيبـوا لهـم البنـات يتفحششـوا ...

ـ و لمَ لا، أليسـوا ولاة أمورنـا و ساسـة حكمنـا و القائمـين عـلى شـئوننا ..و هـذه الدولـة ...و هـؤلاء حُكامهـا.

– طاعة الحاكم واجبة يا صديقي

– أنـا لسـتُ صديقـك و لا يمكـن أن نكـون أصدقـاء لأنَّ أفـكارك مخالفـة لأفـكاري وتوجُّهـاتي. و لـولا أنَّ القـدَر سـاقنا إلى هـذا المـكان الـ... نحـن الاثنان..

– ماتقوليش لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

– أنت قلتها و هذا يكفي ..

و كاد النقـاش يخـرج عـن حـدود الأدب و اللياقـة أو يتطـوَّر إلى مـا لا تُحمـد عقبـاه.

ـ أرجـوك يـا بُنَـيَّ لا تخلـط بـين الدولـة و السُـلطة ...كان يعلـم جيِّـدًا مـا يقصـد

كانـوا يحاولـون أن يُفهمونـا بأنَّهـم هُـم الدولـة و هُـم السُـلطة و الديـوان دائـمًا و أبـدًا .

أحـاول أن أجـد تفسـيرا لسـلوكيات عـمال الديـوان و القائمـين عـلى المملكـة رغـم أنّنـي أدرك الحالـة النفسـية التـي هـو عليهـا عـالم النفـس في المملكـة فمـن كثـرة الضربـات الموجعـة كاد أن يفقـد عقلـه ...

ـ طبيب يفقد عقله؟

ـ نعم لأنَّه خلط في السياسة .....

نعم لقد قالها الحكيم :

لا كانت السياسة فإنها كالســـوس

تمنى بالرئاســة و تخرب الـرؤوس

فـكل مـا بنـي عـلى باطـل فهـو باطـل ..و إذا كان يقصـد أرسـطو بحكمتـه (مَـن يفقـد الإحسـاس قـد يفقـد القـدرة عـلى التعلـم) و لأنَّنـي لم أفهـم هـذا. فقـد علمتنـي حكمتـه القديمـة الـشيء الكثـير حـين قـال: (إذا أردتَ أن تعـرف إلى أيـن أنـتَ ذاهـب، فيجـب أن تعـرف مـن أيـن تبـدأ)، و مـع أنَّ الشـيخ الغـزالي ذكّرَنـا بـأنَّ (الانطـلاق لا يكـون مـن فـراغ) فـإنَّ بدايتنـا كانـت كلهـا مـن فـراغ و بـدون هـدف مُحـدَّد و قـد أعجبـتُ بتلـك الأفـكار التـي حددهـا في كتابـه (الطريـق مـن هنـا)؟ و طرقاتنـا مغلقـة، مهترئـة، كثـرت (الباراجـات)، انعدمـت الأخـلاق

اختلطت المفاهيم، و لهذا نسأل دائمًا إلى أين نحن ذاهبون؟!

***

الرعيـة لم تفهـم دورهـا جيـدا ...إلا أنهـم آمنـوا بـان الحيـاة جميلـة لمن يعـرف سِرَّهـا ....

– و الحواجز؟

- هم أولئك الذين يُقدِّمون زوجاتهم و بناتهم و أخواتهم للحاكم كعربون مَحَبَّة أو ركن للتعارف في بطاقة الزيارة ... و الرَجُل مَن يرضى عنه الحاكم و محيطه ...لم تكن عند هؤلاء (الرجال) الجرأة في النظر إلى المرأة ليعرفوا حقيقة أنفسهم ...المهم أن يرضى الحاكم أو الذي يلي سطوته ...هكذا يقولون ... ولسان حالهم الحفاظ على المكاسب و المناصب. و يرجعنا هذا إلى المفهوم الذي يشير إلى النفوذ في معنى السُلطة ..فنفوذ المحيط في مملكة مولانا كبير ...فهل يقتلون و يحيون ؟ نعم بيدهم الحياة ويهبون الرزق لمن يشاءون، و رُبَّما لو جادلتهم لقالوا لك بأنَّنا نقدر على أن نأتي بالشمس من المغرب .. و يستطيعون أن يخرجوك من الكون ...

- ألمْ أقلْ لكم إنَّ الصمت حكمة؟

- نحن آسفون، لقد نسينا أنَّ الصراخ يزعج هؤلاء السادة و يوقظهم من أحلامهم؟ لا بُدَّ أن يبقوا وحدهم في الساحة، و لا أحد يزعجهم، الرجاء عدم الإزعاج ...الرجاء إلتزام الهدوء.

ـ الصمت حكمة و كثير فاعله في المملكة.... و من يجرؤ على الصراخ أو حتى التنفّس .. يصير كصاحبنا الذي أخرجوه من قاعة المحاكمة

بالقوة ...كان تساؤلًا بسيطًا من مظلوم آخر جالس يحبس أنفاسه حتى لا يتابع أو يُسجَّل في دفاتر المشاغبين ...

***

- 6 -

مسرحيــة «الزعيــم»، مسرحيــة جيِّــدة لقــد شــاهدتها مَــرَّات عديــدة، قــام عــادل إمــام بــدور بــارز فيهــا ...مــاذا يكــون موقفنــا نحــن في دنيــا الهــزل؟ مــاذا نقــول نحــن في الجــد؟

- راهي عاجباتك الحالة يا وجه الرخس والبخص ...؟

النــاس راهــا تمــوت بالجــوع والقهــر و الظلــم وأنــت تحكــي عــلى عــادل إمــام

ـ و لكــن عــادل إمــام أحســن مَــن صــوَّر لنــا الحاكــم و القــاضي و القضــاء

- يبدوا لي أنَّك مُمثل مُحترف.

- لا ..أنــا مسرحــي أؤدِّي مــرَّات دور الكومبــارس خاصــة في المشــاهد العنيفــة و أحــب التعــرض للــضرب عــلى الوجــه..إذا ضُرِبْــتَ عــلى الخــدِّ الأيمــن فــإدِرْ لهــم الخــدَّ الأيــسر ليشــبعوك ضَرْبًــا.

- مــا هــي قراءتــك لمسرحيــة «شــاهد مشــافش حاجة»؟..رغــم أنَّنــي أدرك أنَّــه ليــس بالســؤال الــبريء، ألا إنَّنــي أصدقــك القــول بأنَّــه عنــوان ينطبــق عــلى ســكان المملكــة..

- (مقاطعا) أفصِحْ ؟

- كل سكان المملكة سمعوا و رأوا، و لكنَّهم مثل الأطرش في الزفَّة ..و الفاهم يفهم.

- لقد كان ذلك المواطن الذي صرخ داخل هيئة المحكمة مقهورًا، أراد أن يصرخ بملء فيه، لكي يُعبِّر بصدق عمَّا بداخله... أراد أن يُعبِّر عن وضع قائم، عن واقع مُعَاش.

ـ القلوب مدودة ...

ـ أين هي القلوب؟

ـ القلوب مَيِّتة (ألا إنَّ في الجسد مُضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كله، ألا و هي القلب).

ـ إذا كان هاك معناها رانا نشوفوا في الفرايس برك؟

ـ نعم، فسكان مملكتنا من الأموات يشكلون الأغلبية ...

مسكين ذلك المواطن لقد إقتادوه مباشر إلى مخفر الأمن لأنه صرخ في هيئة المحكمة الموقرة .و وضع الأشياء مواضعها و كان بصيرًا بالوضع، و عايش الواقع. ماذا قال ابن المقفع :

(غاية الناس صلاح المعاش و صلاح المعاد و السبيل لإدراك ذلك هو العقل الصحيح . و يتم ذلك بالإيثار بالمحبة أحسن الرعي، البصر بالموضع ووضع الأشياء مواضعها و التثبت و المبالغة في الطلب)

مع إنهم ذكروا بأنه لن يضيع حق وراءه مطالب

- طالب صحِّحْ المعلومة

هذا مثال يكرهه الملك ...

- يكره طالب و علي و العباس و الحسين

- أعرف ذلك

ـ و لكن هل هناك رجال وراء ذلك المواطن على الأقل للدفاع عنه و يتفكرونه حين الشدة ؟

لقد رحلوه إلى السجن بعد أن أجبروه على الاعتراف بأشياء لم يرتكبها ...يوجد في المخفر ما لا يوجد في المحكمة ...

إجراءات قانونية تحصل في كل مراكز الأمن

- اقعدوه على قرعة ؟

نعم أقولها و أنا من الشاهدين، و مِمَّن كان لهم مع القاعدين.

***

و تعود بنا الأحداث إلى دار الشرع، حيث الميزان و صورة الملك و شعار العدل أساس المُلك.

- بسم الله الرحمن الرحيم (و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

النائب العام :

ـ إنَّ المُتهم الماثل أمامكم بدأ في تنبيه الرعية و إيقاضها من سباتها و تحريضها على الصراخ و على ارتكاب الشغب و الدعوة إلى العصيان طبقا للمواد من ١ إلى الفهرس صفحة ٢٤٥، إنَّه يُحرِّض الغوغاء و ينهض في همم الغاشي

– (صوت مقاطع): قلْ كتاب قانون العقوبات كاملا، إنَّهم يحكمون حسب صورة الميزان الماثل، ميزان تحت إشراف مديرية التجارة، كل شيء يوزن فيه بمقابل.

– شد مد، و على جيب القاضي أن يستعد؟

– أمالا الماتش مبيوع في قصر العدالة؟

يالطيف كلش للبيع، حتى الضمير.

***

– آه لو انتخبنا على أحمد مطر..

– و لكن الانتخابات كلها مُزوَّرة، و حتى اللجان التي تشرف عليها تكون مُعيَّنة و تمتهن التزوير و التبقرير في الملفات و القوائم

– ننتخب نزار قباني ..

– لا..لا

– أنا أشمئز من هذا الاسم؟، ألمْ يكن سببًا في إيصال مولانا إلى الحُكم و ملء السجون و إيقاف عجلة التاريخ ؟ .

– نعم أحمد مطر كان سينقذنا من كل الملوك، لأنَّه وعدهم بقمّة استثنائية سيجمعهم فيها و يُفجِّر القاعة بمَن فيها ..»موت الحُرمة خير من حياة الذل، أو: بخس الجنة خير من حرم النار».

– الله . الله عليك ...

– يرحم هذاك الفم ..؟

هذا شعر شعبي معروف لمْ أقله أنا

– ما عليش المهم فكرتنا بهذا البيت، أعِدْه يرحم والديك ؟

موت الحرمة ...

موت الحرمة ...

– أظن أنَّه أعجبك....

– نعم يا ولدي فالكرامة في النار و لا الذل في الجنة

كان صديقي الجنرال يدرك معنى البيت، كان دائمًا يُذكرني به

و مع أنَّه يدرك أنَّ الانحطاط يثير اللوعة، فإنَّ اليقظة تثير الدهشة ...

– أتدري أيُّها المُحترَم، الكل محتار في مملكة الحقرة و العار من الليمونة (الحامضة) قد تستطيع أن تصنع شرابًا حُلوًا ينعش الجسم و يساعد على الهدوء..

– أسكتْ أكرمك الله، فلو سمع هذا عمال مولانا الملك لأمر بقطع كل أشجار الليمون!

ـ لن يستطيعوا فِعْل ذلك. لأنَّه في الليمون منافع أخرى

إنّك تُذكرني هنا بحكم (دايل كرنجي)

ـ و لماذا دائمًا تنبهرون بالآخر؟

ـ مَن الآخر؟

ـ ذلك المتفوق.. لماذا لا تقل الشيخ الغزالي ؟

اعلم انه لو اجتمعوا، لأجمعوا كلهم على تأييد أفكار دايل كرنيجي ذات المعاني الإنسانية ولا أظن الشيخ الغزالي إلا ناقلا أمينا لها

– إنَّ الله لمْ يُرِدْ للناس قاطبة إلّا اليُسر و السماحة و الكرامة ... والناس ظلموا أنفسهم ...

– و لكنهم أرادوا الذل لأنفسهم، إذا أردت النجاح فجدِّدْ حياتك أيُّها المسلم.

ألم اقل لكم إنَّ موت الحُرمة خير من حياة الذل؟

***

لقد رحلوا بالمسكين إلى السجن و سيلقى مصيره

– تبًّا لهذه الحياة التي نحياها، فالموت من وراءنا و الملك من أمامنا لا بُدَّ لنا من مخرج..

– و ما هو (صوت ينبعث من داخل السجن ؟)

إمَّا الموت أو الحياة .

- لماذا لا تقول السجن أو الموت ؟

- لا فرق بين السجن و الموت ... بل الموت أرحم على الأقل نرتاح من وجوه البلاء...إنَّه امتحان ...الامتحان أن نكون في الخارج لنعيد بعض الأمل إلى الرعية، و نزرع بذور المقاومة فقد طال الظلم..

و بالرغم من أنّ الظلم أيامه معدودة إلَّا أنَّني أحس و كأنَّ هناك أمْرًا سيحدث، مسكين ذلك المغمور يظن انه وحده سيقهر جبروتهم و ينال من سطوتهم..كان يعرف أنَّ يدًا واحدة لا تُصفّق ... و لكن لا بُدَّ لليل أن ينجلي و لابد للقيد أن ينكسر ...

ـ هذا إذا كان الشعب يريد الحياة ...المهم أن تكون هناك مبادرة ...

- نعم مقبرة لكل مبادرة و سجن لكل ثائر. أعلمُ أنَّ الوضع لا يُبشّر بالخير فالسجون امتلأت، و المقابر امتلأت حتى الشوارع اكتظت بالمتسولين و المتشردين و المُتسكعين، انظرْ إلى الثكالى، و راقِبْ معي وضع اليتامى، فقد انتشر البغاء و الغواني و تفشت الدعارة، و هناك جيل من الأمهات العازبات، حتى الأطفال مجهولي النسب ارتفعت نسبتهم

- و لا تنسَ الصفوف التي تنتظر قفَّة رمضان؟ التسوُّق من المزابل أصبح ديكورًا للفقراء و المعوزين.

- نعم شعب يأكل من المزابل (إن بقيت هناك فضلات تُرمَى)

– و الحل أن نتكاتف ...فقد عم الظلم أطراف المملكة (ظهر الفساد في البر و البحر) الولاة في ممالك الوسط و الجنوب و الشرق و الغرب جاروا ... لم يبق إلّا المقاومة ..و الدولة جائرة ..

– يا ولدي ألف مَرَّة قلت لك بأنَّ الدولة ليست هي الحاكم.

– يجب أن تُفرِّق بين السُلطة و الدولة و الحاكم.

– و لكنهم يا سيدي يريدون أن يجمعوهم في يدٍ واحدة .. و وضعوا المفهوم في سلة واحدة..لا بُدَّ أن نُفهِم الرعية ذلك .. ضاقت فلمَّا استحكمت حلقاتها فرجت و كنت أظنُّها لا تفرج... لا يتسع الأمر إلّا إذا ضاق ...

ـ ياو الله يضيقها عليهم ...و رددوا جميعا و بصوت مرتفع :

آمين .... آمين ....

آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآمين (قالها مسكين في القاعة رقم ٧)

لقد رق قلبي إلى هذا المسكين الذي يُعبِّر عن وجوده بالصراخ

ـ أنا أصرخ إذا أنا موجود

أنت تُحرِّف في مقولة ديكارت ..

ليسمح لي ديكارت فلم يعد بوسعنا التفكير. لأنَّني لو فكرت، لعدمت فتصبح النظرية أنا أفكر إذا أنا معدوم ؟

فأنا أصرخ و هم أحسُّوا بصراخي، و ها أنا ذا مرمي بالسجن إذن أنا موجود

– أنت تتفلسف كثيرًا .. و إذا رآك القاضي تفهم فقد يحكم عليك بالإعدام فورًا ...

– ألا تعلم يا صديقي بأنَّه (لا يقضي القاضي و هو غاضب) ؟

ألم يقل الرسول الكريم:«لا يحكم أحد بين اثنين و هو غضبان»

***

المتهم: سيدي القاضي أنا أطالب بتغيير تشكيلة هيئة المحكمة ؟

القاضي إيه راك تفهم بالزاف ..

– و لكن سيدي القا.....

– القاضي (مقاطعا): ليس من حقك أن تتلفَّظ بأيَّة كلمة أو حتى تنطق بحرف واحد حتى لا تُسجَّل ضدك تُهَم أخرى.

ـ و لكن هل هناك عقوبة على ذلك؟

– رُبَّما الصَلب (مستهزئًا).. رُبَّما الحرق .. (ضاحكا) رُبَّما القتل.

– الله عليك ... لم يكن يدرك بأنَّ القاضي إذا خان ضميره تحلُّ اللعنة على الجميع ...

القاضي: الجلسة مُؤجَّلة إلى الأسبوع المقبل.

بعد انتهاء المشهد ذكَّرني صديقي بالحجاج بن يوسف عند تعيينه حاكمًا على العراق حين قال: (إني أرى رؤوسًا قد أينعت و حان قطافها) و ردَّدَ خاشعًا خاضعًا: (و لا تطع من أغفلنا

قلبه عن ذكرنا و اتَّبع هواه و كان أمرهُ فُرُطا). ما كانش الرحمة في قلوبهم؟ (و إنَّ من الحجارة لما يشقَّق فيخرج منها الماء)، لا تنسَ: (وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله).

– الله يُهبِطْ على رؤوسهم الحجر و الشجر و البعر.

– ما تدعيش عليهم ... إذا ماتوا راهم يرتاحوا ...

– عندك الحق لازم لهم يتعذبوا .....

– كيما عذبونا ..

– الله يعذبهم في الدنيا قبل الآخرة ..

القو(.....) إلى الشارع فيحتضنها الشعب ... أراد أن يقولها للمساجين لكنَّه خاف من أن يتهموه بالتحريض على الفوضى و العصيان ... فيكفي ما لحقته من تُهَم ...و تُسجَّل ضِدَّه جريمة جديدة.

***

ـ أيَّ حياة هذه..؟!

– الحياة هي الحياة و لا شيئ تغيَّر، لكن الناس هُم مَن تغيَّروا.

– بالصح وش من حياة رانا عايشينها .. ألا تدري ما قاله الشاعر مصطفى محمد:

علمتني الحياة أن أتلقى كل ألوانها رضا و قبولا

ورأيت الرضا يخفف أثقا لي و يلقي على التماسي سدولا

و الذي ألهمَ الرضا لا تراه أبد الدهر حاسدًا أو عذولا

الحياة عبارة عن قارب، و بالرغم من أنَّها تجارب قاسية إلّا أنَّ المحن تُهوّن علينا الكثير من الصعاب .. و ما أحوجنا إلى تجارب الدكتور السباعي و إلى خلاصة تجارية في الحياة .ألم تقرأ (علمتني الحياة)؟

– نعم لقد قرأتها كثيرًا إلى درجة أنَّ التجارب اختلطت عليَّ... فلمْ أعُدْ أعي أيَّ شيء في هذه الحياة، غير الإحساس بالظلم والحقرة ..

ـ و الندم ..؟

ـ لست نادمًا يا صديقي.

فالرضا نِعمة من الله لم يسعد بها العباد إلّا قليلا

– إذا أنتَ راضٍ بالواقع؟

– أيّ واقع ؟ هذا الظلم و الحقرة ؟، لا لستُ راضيًا على الظلم و الحقرة، و لكنِّي راضٍ بقضاء الله و قدره. و أحاول أن أقف في وجه الظالم و مَن يعينونه على ظلمه:

علمتني الحياة أنَّ لها طعمـ مين، مُرًّا، و سائغا و معسولا

أيُّها الناس كلنا شارب الكأ سين إن علقمًا و أن سلسبيلا

ـ إذا علينا أن نختار بين طعم الحياة المُر و الحلو ...؟

– ألم تقل إنَّك مؤمن بقضاء الله و قدَرِه ؟

– و هل هذا يمنعني من الاختيار؟

– لا... و لكن هل الإنسان مُسيَّر أم مُخيَّر؟

– الإنسان جبان في طبعه، خاضع لكل أشكال الظلم و الهوان، و لا تقل إنَّ الدولة فيها رحمة ...

– بل هي الرحمة .. و لكن السُلطة هي التي لا ترحم ...

– ما يرحموا ما يخلوا رحمة ربي تنزل..

– لايجب أن نتعجَّب فقد كانت هذه السُلطة ملازمة لصفة القهر والظلم ... لأنَّها ستصبح سُلطة قانونية حين ترضى مجموعة الأفراد بالخضوع لها ..

– و لكن من أعطاها الشرعية؟

– هذا سؤال كان بالأحرى أن يُوجَّه إلى مجموع الأفراد، إلى عامة الشعب، فالرضا بالذل و الخضوع و القهر .... هو من أعطاها الشرعية ... فلا سُلطة بدون خضوع مهما اختلفت المفاهيم حول تحديد مفهوم السُلطات.

– و نحن ماذا نفعل في هذه المرحلة، الا يجب أن نكافح بأقلامنا ؟ و أن نكتب، يجب أن نكتب، لنُبيِّن الحقيقة و نخبر الناس بالواقع، سنكتب لأنَّنا اخترنا الكتابة كسلاح منذ وُلِدنا ...

– و رغـم ذلـك هُـم يرفعـون للملـك كل مـا نكتـب، و يقولـون لـه مـا يجـري .. حتـى أنفاسـنا امتلكوهـا لكـي لا نقـف في طريقهـم ..

– من هُم ؟

– إنهـم جلسـاء الملـك و خاصتـه .. الذيـن يفعلـون مـا يؤمَـرون ولا يعصـون أوامـره مهـما كانـت نعـم مهـما كانـت .... و لكـن مَـن هُـم ؟

كان يعـرف مَـن هُـم جلسـاء الملـك و ندمـاؤه و خاصـة الخاصـة الذيـن يقضـون مصالحـه:

فذليـل بالأمـس صـار عزيـزًا و عزيـز بالأمس صار ذليلا

الـكل يدَّعـي بأنَّـه خـادم للملـك ..أنـا أعـرف الملـك و مَـن يـترددون عـلى مملكتـه و عـلى ديوانـه ..أنـا صاحـب الملـك مـن لديـه مظلمـة فأنـا مـن جلسـاء الملـك.

– إلـي حب يفري مشـكل يـروح لفـلان راه الملك صاحـب بنته ..؟

– صاحب ابنته، يعني عشيقها؟

– ألا تعلم بأن ابنته لها مكانة عند مولانا ؟

– أيُّ عهر هذا؟ أيُّ واقع هذا الظلم و القهر و الحقرة ؟

و حقوق الإنسان لوحة رسَّام أجاد التزوير و التظليلا

لا توجـد حقـوق في المملكـة .. رغـم أنَّ هنـاك مسـاواة في تسـليط الظلـم و العقـاب عـلى الرعيـة ...

– إذا فالدولة تفعل ما تشاء و تستبيح الحرمات .؟

– و تنتهك الحقوق. فلا حرية و لا مجال للتعبير و لا احترام للرأي الآخر.

– ألا يمكن لك يا صديقي أن تُفرِّق بين مفهوم الدولة و السُلطة.

– مع أنَّ حالة السُلطة هي التي تبيح لمثل هؤلاء الإتيان بالمحظورات و إذلال الرعية بمختلف الممارسات القهرية ... في حين لا تكون الدولة بمعناها الحقيقي إذا لم تكن هناك شرعية مستمدة من الشعب

– و لكن إذا كان الشعب راضيًا ؟

– الله لا يركب فأس على هراوة ؟

ألا تحفظ ما قاله المثل الشعبي :(أنَّا نحفر له في قبر أمه و هو هارب بالفاس)؟! أنت دائما تُذكّرني بأبيات شعرية و أمثلة شعبية تدعو إلى الاستكانة وتؤدي الى الاستسلام و التخويف و الترهيب..

– و لكن هل تريدهم أن يشنقوك ؟

– أشنقوني فلست أخشى حبالا و أصلبوني فلست أخشى حديدا

– هههههههههههههههه... لكن أين الشعب؟

– شعب البطاطا والخرشف؟

– ألا تعلم يا صاحبي أنَّنا مللنا. اكتفينا دماءً ... إلى درجة أن اتّصفتْ يومياتنا بالعشرية الحمراء.

– عشرية الدماء والدموع تقصد؟

– ماذا جنى شعبنا من كل تلك العشريات ؟

– عشرية سوداء ..عشرية حمراء؟ و العشرية القادمة ... كيف تكون؟

– الله يلطف ...ربي يجعل في قضائه اللطف ...

***

كان يتكلم وَحْدَهُ، يتناقض في كلماته، يحاول أن يجد مُبرِّرًا لانتكاسه و رُبَّما مُبرِّرًا لسكوت الرعية ...الرعية راضية بحالها وعن وضعيتها.

– بالصح راك تواجه في جبل ...؟ فكيف تقاوم الصخر بصدرك وحيدًا؟

أردتُ أن أفهمه بأنَّ هذه الفكرة يجب أن تنبت في مشتلة الجيل الغاضب الذي ملَّ من كل شيء..لافرق عنده بين السجن والموت بالأمس كنّا نقول «كي الدار كي الحبس»، أي إنَّهما سواء.

– نعم جيل الغضب.

– إنَّ ما أراه يوميًّا و في كل ساعة و دقيقة و ثانية بأنَّ الشباب تزرع في قلبه الأحقاد تجاه هذا النظام ... و كُره كل ما يمتُّ للسُلطة بصلة بل ومنهم مَن يكفر بالدولة، و التاريخ و الذات و الواقع ...

- نعم الواقع المزري ...

- خيرات بلده تُوزَّع هُنا و هناك .. و يستغلها بعض المُقرَّبين من حاشية مولانا الملك ..فكلهم سواء و يريدون أن يُبقوا على مصالحهم قائمة مهما كلّف ذلك من ثمن ...

- ألا تنظر لنفسك أيها المغفل (كان يخاطبني و هو في حالة غضب)؟

- علمتني الحياة أنِّي إن عشتُ لنفسي أعيش حقيرًا هزيلا

- ياو اتكل على ذاك الخبر .. عيش للناس أو تفرها في روحك

نعم سأعيش حينا من الدهر هزيلا ... و سيكتب لها النجاح .... ؟

- المهم أن تجد من يؤمن بها ... و يأخذها إلى الأمام

- إلى الأمام سِرْ..إلى الخلف دُرْ..تقدَّموا قليلا الى الوراء.. و كأنَّنا في كيران ساحة أودان بالعاصمة و قد حُشِرنا حشرًا دون رحمة و لا شفقة، المهم التيكيات تكمل، تتعمَّر الخزنة و يدخلوا الحبّات. هذا هو سبيلهم من اجل البقاء ..نَعَم من أجْل السيطرة على الوطن و على الشعب و الثروات أو الموت و الدمار .!. مسكين يا صديقي أنت تعيش الانتكاسة من داخل نفسِك. و ترضى بالخشوع و الاستسلام ... و لا تعرف أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، بل أكبر شيطان...

***

كان يحدث نفسه، فالأمر كبير و الخطب جَلل:

– ألا تنظر لنفسك و كيف أوصلوك إلى هُنا؟

– «اِعملْ بعلمي و لا تنظر إلى عملي، ينفعك علمي و لا يضرُّك تقصيري» هكذا قال الخليل بن أحمد رحمه الله.

– دعنا من التفلسف و الفلسفة، فنحن نُسَلّي أنفسنا بالحديث.. نجيبوا فالوقت حتى نخرج من سجننا

– يعني الهدرة، هدر الوقت

– ياخويا رانا نعقبوا في الوقت حتى تجي ساعة لاقراص و نخرجوا من هذه الجنة الى جحيم المواجهة مع لعباد الناقصين؟

– أنا ارفض دائما هذا الطرح، يعقبوا الوقت و نسوا قوله تعالى (أم حسبتم أنَّما خلقناكم عبثا) و ليس لهم هدف في الحياة.

– نعم هكذا يريدون أن تكونوا. تتسلون بالحديث و هم يتسلون بكم .. لقد نجحوا في سياستهم ... لم يعد يربطكم أيُّ شيء غير الخوف و الجُبْن و الاستسلام و الخنوع و الخضوع و الفقر. وهي عوامل مشتركة أصبحت تجمعكم ... و هم يتسلون و يتلذذون بآلامكم..

– لقد نجحوا يا صديقي ..هذا هو الواقع..

– عن أيِّ واقع تتحدّث؟ و نحن نُجلد كل يوم مئة جَلدة؟

يا أمة رضيت بالجهل و الكسل وانحط منزلها في أعين الدول

- بـالله عليـك ألا تمـلُّ مـن النقـد، تعـرف تكريتيكـي بـرك.... رجـاءا أوقـف المنشـار قليـلا؟

- المنشار؟..لن يكون هناك فرح حتى تحل الدولة محل السُلطة

- و متى يكون ذلك ؟

- إذا المشـكلة ليسـت في هـؤلاء الزعـماء و لكـن في الشـعب، هـذا عـلى رأي الفنـان زيـاد الرحبـاني في إحـدى مسرحياتـه الشـهيرة (إذا المشـكلة ليسـت في الزعـماء المسـاكين و لكـن في الشـعب).....الزعـماء المسـاكين ....

- لا أفهم شيئا ؟

- نسـتطيع أن نطلـق عليهـم هـذا الوصـف، فهـم مسـاكين، و حالهـم أسـوأ مـن حـال الرعيـة.. فقـد أخـذوا سُـلطتهم بالقهـر و النـار و بخـراب البيـوت و دمـار الاوطـان، و لم يخلفـوا لنـا سـوى الأطـلال و الجُثـث. (فـماذا بعـد الحـق إلا الظـلال)....

***

إنِّي أشـفق عليـه وهـو يجلـس بعـد السـاعة الخامسـة في الركـن المعهـود.

عندمـا تغلـق الأبـواب يعـرف بأنَّـه في السـجن، و يخـاف مـن أن يُقـال لـه بـأنَّ الخـروج ممنـوع.

- إيه يا ولدي ستبقى هُنا حتى تشيخ؟

نَعَـم إنَّـه نفـس الصـوت ... كان المسـكين ينظـر إلى الواقـع بعيـون ثاقبـة، لا يـدري مـاذا يصنـع بالرغـم مـن أنَّ مسـاره مرسـوم و بدقـة متناهيـة .. لم تكـن المعارضـة (الإيجابيـة طبعًـا) سـوى بدايـة مُوفّقـة، رغـم أنَّ الطريـق محفـوف بالمخاطـر و الصعـاب و كثـرة المشـاكل .....

أتذكَّـر الرسـالة التـي كتبهـا لي ذات يـوم أسـتاذي الشـيخ سـالم علـوي مـن بعيـد و هـو يُخوِّفنـي و يقـول لي إنَّ الطريـق محفـوف بالخاطـر، و رغـم أنَّهـا وَصْـفٌ مـن دكتـور إلى مريـض ألا إنَّنـي لم اقـرأ حينهـا مـا بـين السـطور.

***

والـدي في كل مَـرَّة يوصينـي و يُحـذِّرني مـن الغوغـاء، و رغـم ذلـك لسـان حالـه يُـردِّد: الراجـل راجـل و لـو كان قاتـل أبيـك.

***

كان ينظـر إلى المسـتقبل و كأنَّـه وليـد تلـك اللحظـة ... مـع أنَّـه يـدرك تمـام الإدراك بـأنَّ التغيـير واجـب مُقـدَّس ... بـل التغيـير واجـب شرعـي و مـن سـنن الحيـاة .... الحيـاة كانـت عبـارة عـن مخاطـر ... و مـا يُرفَـع للملـك و للسُـلطات مـن تقاريـر عبـارة عـن تزييـف للواقـع و ليوميـات الرعيـة التـي يحكمونهـا بالحديـد و النـار.

التزييـف هـو مـن ولـد الغضـب لـدى الجميـع ملـك و رعيـة رغـم أنَّ الوسـطاء كانـوا ينعمـون بالرخـاء و العيـش الرغـد و هـؤلاء كانـوا يشـيرون إلى الملـك.

ذات يـوم وقـف شـاعر أمـام جماعـة مثـل هـؤلاء القـوم و هـو ينشـد :

وفـؤاد كـلمة عاتبتـه في مـدى الهجـران يبغـي تعـبي

لا أراه الـدهر إلا لاهـيا في تماديـه فقـد بـرح بي

يا قرين السوء ما هذا الصبا فني العـمر كذا في اللعب

و شـباب فـان عـني فمـضى قـبل أن أقـضي منـه أربي

مـا أرجـى بعـده إلا الغـنى ضيـق الشيب عـلي مطلـبي

ويـح نفـسي لا أراه أبـدا في جميـل لاء ولا في أدب

نفـس لا كنـت ولا كان الهـوى راقـبي المولى وخافي وارهبي

و لَمَّـا بلـغ سـيدنا عمـر بـن الخطـاب أنَّ صاحـب هـذا الشـعر يتغنَّـى بـه بعـد كل صـلاة و اسـتقبحه قومـه. أمـر سـيدنا عمـر بتكـرار ذلـك لأنَّـه كانـت لـه جـرأة الحـقّ ولا شيء غـير الحـق...

***

رُبَّـما المسـؤول لا يقـرأ سـوى عُـشْر مـا يصـل إليـه مـن تقاريـر ولاة الأمصـار، أمَّـا شـكاوي العامـة فكانـت تُقـرأ لـه إن كان لديـه وقـت كافٍ . لأنَّ وقـت الملـك مـن ذهـب، و الذهـب يُذهـب العقـول و الألبـاب ...

***

- 7 -

لم يكـن يتوقـع كل تلـك الحملـة الشرسـة، العـدد الكبـير مـن الشـكاوى. وَضْـع يشـبه التكالـب و تجمُّـع الوحـوش المسـعورة حـول فريسـة.

الـوالي، سـيد الكوميسـار، مـدراء، رؤسـاء دوائـر و(مُنتخَبـين) مـن أميـار آخـر زمـان. و كل مَـن بلغتـه صرخـة الـوالي لبَّـى النـداء.

اليوم أهدر دم الفتى

لا أحد يحميه

لا عرشه و لا أهله ولا عشيرته و لا الأقربون السابقون

.. الحقيقة ماعندوش رجال وراؤه

ومن يحميه من (افاد العود)

مدينـة سـيدي نائـل هـل تفتقـد للشـهامة؟! و الرجلـة تحوَّلـتْ إلى تخـلاط .. يجـودون بالغـالي و النفيـس لـكل مسـؤول مهـما كانـت درجتـه.

مدينة عز البراني ..باعوا النيف، عقدوا اجتماعًا كبيرًا من أجْل التبرُّؤ من هذا الفتى الذي تجرَّأ و نبح.

مملكة الخراف حيث لا احد يتجرَّأ على الحظيرة و يقاوم أو يرفض السلخ.

و اليوم يوم الحقيقة...

الجميع توحَّدَ من أجْل أن يدخل إلى السجن ..راه ديرونجاهم بالزاف

***

المُهِم رفع شكاوي أمام هيئة المحكمة التي تأخذ أوامرها من فوق، المهم أن يقع في المصيدة، فلقد تجاوز حدوده.

الله يعلم كم شكوى قُدِّمَتْ في ظرف ساعة، كل الدعاوى المرفوعة القصد من ورائِها تمديد فترة السجن، و بقاء هذا البعبع أو المُتغوِّل أو الغويل المُجرِم في الحبس مهما كان الثمن. و كأنَّ الكل تجنَّدَ مُتّخذًا مبدأ «أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم».

- يجب أن يكون الجميع مع الحدث.. هكذا قال السيد المستشار.

- كلكم ستشربون نخب هذا المتغطرس ....

- (الآخر مُقاطعًا) يجب أن يُشنق ...

- ارموه في البحر ...(قالها صاحب الطعام)

- اقتلوه

- اشنقوه

- مرمدوه....

- بهدلوه.....

كلهم أجمعوا على صلبه و قتله.

أليس هو من طيَّر النوم من أجفانهم، و أفسد جلسات لهوهم و سُكْرهم، مسكين كيف سيقابل اتحادهم و تسخير كل إمكانيات السُلطة المادية و الإدارية و القضائية و البوليسية و الجنسية ووو.... بما في ذلك الاستعانة باصحاب الأسماء المستعارة و الذين استعاروا من تاريخهم و ماضيهم للكتابة ضدَّه.

فقد جفت الاقلام و رُفِعَتْ المقالات إلى الجرائد من عين المكان. و ما من نذل أو مومياء إلّا و وجد ضالته في الكتابة ضِدَّه من أجْل الدخول في الصف و العودة إلى بيت الطاعة.

استعروا منه و هُم يجمعون الأموال لابتزاز المسؤولين بحجة تكليف محامين ..رغم أنَّهم يعرفون أنَّ هناك أرمادة من المحامين قد تأسَّس في حقه من مختلف مناطق الوطن عدا منطقة نايل.

***

- 8 -

لا صرخة و لا توسُّل و لا صيحة.

بالأمس وامعتصماه، و اليوم يا الله.

كل الأضواء مُسلّطة على قاعة الجلسات بمحكمة حي بن جرمة، و رغم ضيق المكان ألا إنّ هناك مُتّسَعًا من الوقت لمحاكمته، اليوم يكرم السيد أو يُهان، نَعَم إنَّه محامي معروف بالحديث و جمع الدراهم و يتأسَّس ضد الابرياء، و عميل رقم واحد للسُلطة، يبيع ضميره و أيَّ شيء من أجل قضاياه الخاسرة، و يجب الآن أن يستعرض قوَّته الشعرية و حماسه المفرط، و أن يعتمد على لسانه بدل القانون.

بدأت الملحمة

أقيموا بني أمي مطي صدوركم ....

كادت أن تتسبب في سجنه سنوات أخرى، لأنها شكلت زاوية مُهِمَّة في مرافعة محامي المُدَّعِي بل هي الحل للقضية اضطر القاضي إلى إخلاء القاعة حتى لا تتحوَّل إلى حلبة للصراع.

لم نكـن قـد حضَّرنـا أنفسـنا أدبيًّـا لندخل إلى سـوق عـكاظ أو ميدان حلبـة (جلفـة). فمحامـي السـلطان حـضَّر نفسـه جيِّـدًا للمعركـة الثقافيـة و كدنـا نسـقط في الفـخ رفقـة أرمـادة مـن محامـي الدفـاع. لـولا أنَّ الله كفانـا شر المنازلـة غـير المتكافئـة، و أرسـل لنـا منقذيـن مـن داخـل القاعـة لـيردوا عـلى العاجـز قانونيًّـا حينـما حميـت المعركة و اشـتدَّت، ليخلـق لنـا دعـوى قضائيـة أخـرى و كأنَّـه يتهمنـي بالسرقـة الأدبيـة أو انتحـال صفـة شـاعر حينـما طـرح لنـا أكـبر إشـكال في معالجـة الشـعر الجاهـلي، و وقـع الخلـط و الشـك في «لاميـة العـرب».

– المحامي غاضبًا: أتحداكم إن كانت القصيدة للشنفرى؟

– الجميع بهت لهذه الجرأة الأدبية و التطاول على الحضور.

– القاضي: لَمن القصيدة؟

كنـتُ خائفًـا كثـيرًا مـن أن يُخـرج المحامـي أيَّ بيـان أو موضـوع منشـور عليـه القصيـدة بتوقيعـي

ـ القصيدة لتأبط شرًّا...

الجميع بهت

أنـا الوحيـد الـذي عرفت القصـد، لأنَّهـم تأبطـوا بي شرًّا و أرادوا أن يوقعـوني في الفخ كنـت أحـاول أن أعلمهـم أنَّـه يقصـدني أنـا بالـذات و الصفـات.. فأنـا مـن تأبـط شرًّا أمام السـلطان و حاشـيته..

ـ اتحـدَّاك.. قائـل القصيـدة هـو الشـنفرى..(صوت ينبعـث مـن داخـل القاعـة)

الـكل باهــت و ينتظـر قـرار القـاضي في التأكيـد عـلى مَـن هـو صاحــب القصيــدة.

– يــا ســادة أنــا مُتّهَــم في قضايــا سياســية و ليســت لي علاقــة بالشــعر.. و لســت أنــا مــن انتحــل القصيــدة باســمه و أعــرف أنَّ قائلهــا هــو الشــنفرى

– المحامـي (مُقاطعًـا) أثبِـتْ عنـدك سـيدي القـاضي، فـإنَّ المتهـم يكـذب عـلى هيئتكـم المُوقّـرة بانتسـاب القصيـدة إلى غـير قائلهـا.

كــبرت المعركــة و اشــتدَّتْ و حَمِــيَ وطيسُــها و شــمَّرَتْ النيابــة العامــة عــلى أنيابهــا و اختلــط الحابــل بالنابــل.

***

- 9 -

لا يـدري وهـو مرمـي مثـل الـكلاب ـ كـما يقـول المصريـون ـ بـأنَّ هنـاك مَـن ينعم مـن وراء الحُكم عليـه، بل و يتلـذذون و يتمنون أن يبقى طـول العمـر وراء القضبـان قابعًـا في زنزانتـه حتـى يخلـو لهُـم الجـو ...

– أليس هو من أفسد عليهم حياتهم الخاصة؟

– بلى .... و لكن .....

– و دخل في خصوصياتهم و تلمَّسَ أجهزتهم الحساسة؟

– لكن... ماذا؟

هـو الحـق، يجـب أن يُقـال ... فهُـم لا يريدونـه أن يظهـر أبـدًا و لـو كان بأيديهـم لأمـروا بـأن يُقتـل أو يُنفَـى ... و قـد حانـت سـاعة النفـي ...!

و مـا يحـدث تعد صـارخ على حيـاة الإنسـان وكرامته و حقوقـه .... حياة الإنسان و كرامته و حقوقه ...

و لكن من يتكلم عن حقوق الإنسان ؟

و كان هذا سببًا في الحُكم عليه ....

- ألا ترى بأنَّ الأحكام قاسية؟

- بالعكس، فالأحكام هي إدانة لهُم، فهي تعدٍّ صارخ على مفهوم العدالة.

- نعم الكل لاحظ بأنَّ الأحكام كانت تأتي تِباعًا...

- إذا لم تكن هناك سيادة للقاضي؟

- نعم ....

- فلماذا تتعتب على القضاة و جهاز القضاء ؟

أنا عاتب عليهم ... لأنَّ أداة الجريمة كما يسمونها و دليل الإدانة بل و حتى الضحية لم يكونوا موجودين ...فهناك قبلهم دائمًا يقبرون الملفات و يخترعون الخصوم....

المُهم أن تُملأ السجون، و ترتفع الملفات إلى هناك بأنَّ كل شيء على ما يُرام ... و من حقهم أن يرتاحوا و يأخذوا عطلتهم اليومية و الأسبوعية و يُرفّهون على أنفسهم بعد عناء شديد مع الأحكام و القضايا...بل من حقهم أن يختاروا أيَّة مناسبة ليحتفلوا، و بما أنَّهم منشغلون بحياة المواطن و راحته فقد أصدر الملك أمرًا بأن يحتفل هو و قضاته بعيد الحُب و الوئام و التفاؤل ...

- عيد الحُب والوئام و التفاؤل؟!..في أي شهر هذا...

- إنَّه أحد أعيادهم ...

- و لكن الأعياد كثيرة ... و أكبرها عيد مولانا المفضل (فالونتان) و الذي يحضره كبار الساسة و القضاة ومالذ و طاب من الأخوات والسيدات والعوانس والشقراوات... فكيف تقول إنَّ مملكة مولانا لا يوجد فيها رحمة أو حُب؟!

الرحمة موجودة ...و الحُب متوفر ...

وعيد الحُب رحمة للملك و كبار مستشاريه وقضاته ...بينما السجين لم يشعر يومًا بطفولته و إنسانيته، فقد عاش محرومًا من العطف و الحُب و الحنان ... و لا يعرف تلك المعاني التي يُعبِّر بها الإنسان عن حقيقته الإنسانية .

- و حُرِم من حنان الأبوة

- حتى يوم مولده مشكوك فيه...؟

بل هم يتساءلون أين وُلِد؟

و رُبَّما وجدوه مولودًا خارج الديار في رقعة جغرافية أخرى بعيدة عن عيون المسئولين في ذلك العصر .....

الملوك كلهم سواء ... و لا تغيب الشمس عن مملكتهم...فكل رقعة هي في أرض الملك ...

- أيُّها البخيل، استنكرت عليه مولده .... وهو يعم القوم بفضله الآن؟

– و أين لي من قول زهير بن أبي سلمى .

و مَـن يـك ذا فضـل فيبخـل بفضلـه عـلى قومـه يُسـتغنَ عنـه و يذمـم مـا تخالينيـش نضحـك ويـن راهـي المـال و الفضـل حتـى تبخـل علينـا ؟

– كل شيء موجود فينا في أعراضنا و شيمنا و رجولتنا ...

– الحقيقة هي وحدها القادرة على كشف الحقيقة ..

يستغن عنه و يذمم ...

نعم .... تلك هي ...

– و لكنك سببت السب الذي يليه

و مَن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذمًّا عليه و يندم

و ستندم لأنَّ الشعب هل ما زال فيه الخير؟

– الله لا يجعلنا نندموا ....

***

- 10 -

كان يعـرف مـدى الابتعـاد و التجـافي الـذي سـيلاقيه، و مـن الإجحـاف حـول تلـك القضيـة

مهما كانت هاته القضية ونوع التُهم و خطورتها.....

ما بال هؤلاء يهربون من القضية و كأنَّها الطاعون .

اللهم إنَّا لا نسألك ردَّ القضاء و لكنَّنا نسألك اللطف فيه..

ألا تعلـم بأنَّـه رُبَّـما ليـس لنـا خيـار بـين الطاعـون و الجـدري و الجـرب و السرطـان و السـيدا و(لنبلوكـم بأمـراض لم تعرفوهـا أنتـم و آباؤكـم الأوَّلـون)

***

– ليتنـي أعـرف مـا يـدور في ذهنكـم. فأنتـم أخطـر مـن النظـام و السُـلطة.

– نعـم و لكنَّنـا لسـنا عصابـة أو قُطـاع طـرق أو خارجـين عـن القانـون..

نحن أصحاب حق نريدكم أن تعيشوا لنموت نحن؟

– و لماذا تموتون أنتم؟ فالحياة جميلة عيشوا ليومكم و اتركوا هذا الأمر و الألم ..

– نحن لسنا جماعة .... نحن كل واحد بفكره و عقله و إرادته ....

كان متأكدًا بأنَّ أخطر عصابة هي التي تضم عنصرًا واحدًا.

إنَّ الإرادة موجودة

و الإيمان بالقضية موجود

و الفكرة موجودة

فلم يبق إلّا الانطلاقة

إذن انطلقوا و اتركونا نعيش أو ابتعدوا عنَّا. نريد أن نحيا ....

– و أيَّة حياة هذه؟

– المهم حياة .... لا نريد أن نُيَتّم أطفالنا و نُرَمِّلَ نساءنا و نُخَرِّب بيوتنا و نحرق مزارعنا ....

– و ماذا بعد حياة الذل ...؟

– نحن راضون بما قسم لنا الله ...مع قضاء الله و قدره ...

– إنَّهم قدريون يؤمنون بالقدر ..؟

– أليس هذا من الإيمان ... تؤمن بالقدر خيره وشره ....؟

– ولكـن يـا فاطمـة اِعمـلي و لا تتـكلي ....والسـاعي عـلى العيـال خـير مـن العابـد في صومعتـه.

– و الجالس عند ابواب الملك و حاشيته

– (مُقاطعًـا) مـا دَخْـل هـذا الجالـس أو الواقـف فكلهـا قضـاء للمصالـح و السـعي مـن اجـل العيـال .... و إحـدى طـرق العيـش سـواء يخـدم مـع الملـك في قـصره أو خـادم عنـد أحـد ولاتـه أو مـن جلسـائهم ....

– ولكنـك نسـيت قـول حذيفـة بـن اليـمان الصحـابي الجليـل حينـما عيَّنـه عمـر واليًـا عـلى المدائـن و خـرج النـاس يسـتقبلونه و هُـم يعرفـون مَـن هـو قـال: «إياكـم و مواقـف الفتـن».

– فقالوا :

و ما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟

– قـال: «أبـواب الأمـراء يدخـل أحدكـم عـلى الـوالي أو الأمـير فيصدقـه بالكـذب، و يمتدحـه بـما ليـس فيـه» و موقـف كهـذا مقتًـا للنفـاق و احتقـارًا لـه.

– و لكـن هنـاك فـرق بين الماضي و الحـاضر ... و نحـن في زمن غيره

– و مـع أنَّـه يعـرف أن هـذا الحـاضر هـو امتـداد للـماضي و طريـق نحـو المسـتقبل، إلّا أنَّـه أراد أن يُفهمنـي عكـس ذلـك.

نعـم لا يسـتطيع احـد أن يصـدق مـع المسـؤول إذا أراد أن يبقـى مـن ندمائـه و جلسـائه أو حتـى مـن خُدَّامـه ... لأنَّ قـول الحقيقـة

صدمـة، و خداعـه فيـه بقـاء و ضـمان لحيـاة الخـادم و الجليـس ....

يعني أن الكذب يديم النعم .

ومدحه بما ليس فيه ... كذلك .

- نعم ..؟ و أين الحق؟

- الحق مات من زمان مع دولة الخلفاء .؟

- و لكن ألا ترى قول عمر: ...

- (مُقاطعًـا): يرحـم والديـك أيـن عمـر؟، نحـن في عـصر السرعة، الحـق تحـوَّل إلى باطـل، و الحـق إلى كـذب و المكتبـة إلى كاسـكروط (قارفـوتي) و الرجـال في السـجون هنـاك بـين القضبـان ...

- و لكـن الاختـلاف رحمـة .. فقـد اختلـف مـع الحاكـم في رأي أو فكـرة فيهـا حيـاة للرعيـة ...

- و رُبَّما فيها هلاك لك ...

- ألا تـرى بأنّـه دجـن المعارضـة. و أصبحـت تُسـبِّح بحمـده، و تدعـو لـه في المسـاجد و الأسـواق و المجالـس ...

و أصبحـت تتهاتـف مـن اجـل خدمتـه و تقديـم فـروض الـولاء و الطاعـة ... و تقبيـل يـده و رجلـه وو... لا داعـي لذكرهـا؟

فالأصل أن تختلف الأفكار

ومن خالف الحاكم لم يخالف رأي الدولة

بل خالف رأسه جده ...؟

يا للهول ..؟

يا للهول ..؟

– و ربما السجن حق لأمثالك الذين يتطاولون و يجرؤون على ذكر اسم المسؤول في كتاباتهم و مجالسهم ... و كان الأجدر لك ان تجاريهم فيما يفعلون. و تغض الطرف عن ذلك حتى تنال من بركات مولانا و يصيبك الخير و تعمُّ الفرحة بيتك و ينعم أبناؤك. أمَّا و أنت في هذه الحال فالسجن أحقٌّ لك ....

– السجن ... و ماذا أكثر من السجن ...؟

سنقضي أيام و نخرج ...

– نخرج ... نخرج بعد فوات الأوان بعد سنين طويلة ...

أو رُبَّما حتى أصبح شيخًا ...

– بل ستموت هناك ...

– أنا أموت من أجل القضية، ولن أتراجع مهما كلفني ذلك من أمر ...

لقد جعلتها غايتي . و ينبغي أن أدركها ...

– و أولادك ... و زوجتك و مستقبلك ...

– أيُّ مستقبل ونحن نعيش الذل و المهانة ...

– إذا اِبقَ في السجن.

– السجن يُعلّم الصبر و طول النفَس فيه الحقيقة. عدم الكذب حتى أنَّ كل مَن هو موجود بداخل السجن يصارحك ولا يتعمَّد الكذب... توجد صراحة

– الصراحة ..؟

– نعم و لِمَ لا ...

– كل من ارتكب جُرْمًا يصارحك من داخل السجن، السارق يقول لك سرقت و الزاني يعترف و المُبدِّد و المختلس لأموال الدولة كذلك يصارحك ....

عكس ما هو موجود في الخارج . كل مَن إرتكب فِعْلًا أو جُرْمًا لا يصارحك و يلجأ إلى الإنكار ... بالرغم من أنَّ آثار النعمة بادية عليهم.

– لقد أَلِفْتَ عيش المجرمين و أصبحتَ تدافع عنهم.

– أنا أعلمك بأنَّ العيش مع المجرمين و داخل السجن أرحم من أن أعيش خارج السجن مع المتخاذلين من أمثالك المتواطئين ...

السجن أحبُّ إليَّ فأنا أعيش فيه حُرًّا بأفكاري ... أعيش مع حقيقة نفسي لا عتاب و لا تحسُّر في السجن.

***

مَن يدرك ما يقع ؟

يدركه كل من له ذرَّة من الحقيقة، الذي يعرف حقيقة ما يجري، و ما تفعله الحاشية بالرعية و ما يقايسه أمثالك و أمثالي ...

الحقيقة المُطلقة يعرفها فقط مَن هو بالسجن.

فلا يحس بالظلم إلَّا مَن ظُلِم ....

- هُم لا يعرفون سوى القسوة ....

نعم القسوة ..

فلا رأفة و لا رحمة لا عفو ولا شيء من ذلك.

كنت أريد أن أسألهم أثناء محاكمتي عن عفو ميمون بن مهران عن جاريته.حيث يروي أن ميمون بن مهران كانت له جارية جاءته بمرقة فعثرت فصبَّتْ المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها.

فقالت الجارية : يا مولاي استعمل قوله تعالى: (و الكاظمين الغيظ)

فقال: قد فعلت

فقالت الجارية: اعمل بما بعده: (والله يحب المحسنين) فقال ميمون: أحسنتُ إليكِ، فأنتِ حُرَّة لوجه الله تعالى.

أنا لا أريدهم أن يعفوا عن المجرم أو أن يتسامحوا مع المجرمين. و لكن أريدهم أن يحاسبوا الإنسان على قدْر جريمته ... فالمتهم

بـريء حتـى تثبـت إدانتـه .و الإدانـة تكـون بحسـب القوانـين، والقانـون قبـل أن يكـون قصاصًـا، هـو رحمـة ...

– أنتَ تؤكّد بأن نعامل المجرمين برفق و رحمة.

و مَـن قـال إنَّهـم مجرمـون ... و إذا كانـوا كذلـك فأنـا واحـد منهـم، نحـن لا نريـد إلّا الكرامـة و عِزّة النفْـس.....

و ليفعلـوا بعـد ذلـك مـا يريـدون ..أنـا أريـد فقـط الرحمـة لي و لأمثـالي. و يجـب أن تعـمَّ الرحمـة الجميـع و أن تمتلـئَ القلـوب بالرحمـة و حُـب الآخَـر و التعـاون و التسـامح و الوفـاء .... (لاأدري مـن قالهـا) و لكنَّـه صـوت صـدح بالحـق

و مـع أنَّ حادثـه شـق الصـدر إحـدى المعجـزات و التـي لـن تتكـرَّر فـإنَّ الشـياطين شـقت قلـوب بعضنـا و زرعـت فيهـا الأحقـاد و انتزعـت منهـا الرحمـة. يجـب أن نُصفِّـي قلوبنـا مـن الأذى ..يجـب أن نطهـر سريرتنـا ...

ـ لا تكـذب عـلى نفسـك يـا صديقـي، و لا نخـدع غيرنـا. فمـن أجْـل كل هـذا أنـت بالسـجن، و سـتدفع الثمـن غاليًـا مـن أجْـل أفـكارك التـي لا مجـال لتطبيقهـا إلّا في كتـب الفـارابي (المدينـة الفاضلـة).

– أو مدينة عمر بن الخطاب ....

– لا تكـذب عـلى نفسـك و لا حتـى عـلى الآخريـن ... و تجرُّهـم معـك إمَّـا إلى السـجن أو إلى حبـل المشـنقة.

لا تكـذب عـلى نفسـك ... و لا أريـدك أن تكـذب الكذبـة ثـم تُصدِّقهـا ..؟

- ماهذه الانهزاميَّة؟

- الخوف يا صديقي مذهب، و من خاف سلم.

- و ماذا بعد ذلك؟

- حياة كريمة وجميلة وعتيقة ورزيقة

- و ماذا بعد ذلك؟

- عيش رغد

- ثم ماذا؟

- الاطمئنان

- ثم بعد الاطمئنان ... ماذا ...؟

- مـاذا غـير الكـذب ... أنتـم تكذبـون عـلى أنفسـكم ... و هـذا حالكـم الآن. فعيشـوا بالكـذب حتـى أنَّ الرعيـة صدقـت كذبهـا ..

و لنعِشْ على آمل الكذب.. نكذب الكذبة ثم نُصدِّقها .

احلموا الآن فالأحلام بدون مقابل .... و هي بالمجان ...

لنحلم حتى ننتهي

لنحلـم حتـى آخـر يـوم مـن حياتنـا. فحياتنـا كلهـا كـذب و أحلامنـا كـذب في كـذب و قـد يصـدق علينـا مـا وقـع لزوجة أشـعب

عندما وجدتْ دينارًا يومًا فأتته به فقال: ادفعيه إليَّ حتى يلد لكِ في كل أسبوع درهمين ...فدفعته إليه، فصار يدفع إليها كل أسبوع درهمين، فلـمَّا كان في الأسبوع الرابع طلبته منه فقال لها: مات في النفاس فقالت: ويلي عليكَ؟ كيف يموت الدينار؟

فقال لها: الويل لكِ على أهلكِ؟ كيف تُصدِّقين بولادته و تنكرين موته في نِفاسه؟

فالويل لنا نحن لأنَّنا صدَّقنا أنفسنا بعد أن كذبنا عليها.

أ لمْ اقل لكَ بأنَّ الحياة داخل السجن أنقى و أطهر؟.

***

- 11 -

أيــن وصلــتَ الآن؟ّ.. مــن ســجن إلى ســجن، حتــى الترونسـفير مَجَّانًــا و عــلى المســافات الطويلــة.

قد حانت ساعة الحقيقة و المُكاشفة..

أنــا الآن في مـكان قريـب مـن الشـمس، بعيـدًا عـن الأعـين و أقلام الصحفيـين إنَّـه الـدرك الأسـفل مـن المملكـة مترامية الأطراف.

الجميع يُصفِّق بعد أن تمَلّكهم الخوف و الرهبة.

لا أحــد يزايــد عــلى الأخــر في حُــب الوطــن، و الجمهوريــة لنــا جميعًــا، و كل واحــد لــه طريقتــه في عشــقها.

***

انتهــى المشــهد الأوَّل و لنــا أمــل اللقــاء في المشــهد الثــاني ..فعــن مــاذا ســوف يــدور؟.....

السيرة الذاتية

أبو محمـد الحفنـاوي بن عامـر غــول النائلي الإدريسي الحسني

كاتب صحفي، و ناشط سياسي، و حقوقي.

– من مواليد سنة ١٩٦٨ بولاية الجلفة

– العنـوان : حـي بوتريفيـس بنايـة ١٢٦٩رقـم ١٣ ولايـة الجلفـة ١٧٠٠٠. الجمهوريــة الجزائريــة.

– في ميدان النشاط الصحفي والحقوقي والسياسي :

حائز على جائزة **RSF** الدولية للصحافة بفرنسا سنة ٢٠٠٤

– مدير الأخبار والتحرير بقناة « الأطلس **ALATLASTV**»

– ملحـق بديـوان الـوالي مكلـف بالنشـاطات الثقافيـة و التربيـة و الإعـلام.

– رئيس حركة بركات **BARAKAT**

– الناطق الرسمي لحركة أبناء الجنوب من أجل العدالة **MSJ**

– عضـو التنسـيقية الوطنيـة للانتقـال الديمقراطـي ومبـادرة مزفران

– منسـق المبـادرة مـن أجـل الدفـاع عـن الحريـات و حقـوق الإنسـان في الجزائـر

– عضو الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان **LADDH**

– عضو النقابة الوطنية للصحفيين **SNJ**

– مدير تنفيذي لأكاديمية الكرامة للدفاع عن حقوق الإنسان و الحريات.

– عضو الجمعية الوطنية للدفاع عن حقوق الطفل.

– عضو جمعية الوفاء للتضامن الوطني.

– مؤسس و المدير العام مسؤول النشر لجريدة (دنيا نيوز) الالكترونية **www.dounianews.com**

– كاتب وباحث في التاريخ والتراث المحلي

– شارك وحاضر في ملتقيات عديدة في الجزائر، تونس، المغرب، مصر

– كُرِّم و حاز على العديد من الجوائز الدولية.

صَدَرَ له:

– (مختصر أعلام الجلفة وأولاد نائل) – عن مطبوعات مركز سمية لخدمات الإعلام والصحافة

- (تاريخ الجلفة) - عن مطبوعات مركز سمية لخدمات الإعلام والصحافة.

- (الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي..حياته وآثاره) - كتاب « الواحة» عن دار يسطرون للطباعة و النشر و التوزيع- جمهورية مصر العربية- القاهرة- ٢٠١٨.

- (أعلام و شخصيات من منطقة الجلفة) - كتاب « الواحة» عن دار يسطرون للطباعة و النشر و التوزيع- جمهورية مصر العربية- القاهرة- ٢٠١٨.

- كتاب (الموجز المفيد فى شرح دُرّة عقد الجيد) تحقيق مخطوط الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسى - عند دار نشر رويفى - الأغواط - الجزائر - منشورات جمعية العلامة الديسى ٢٠١٨

- (هلوسة سجين) - رواية - كتاب « الواحة» عن دار يسطرون للطباعة و النشر و التوزيع- جمهورية مصر العربية- القاهرة- ٢٠١٨.

تحت الطبع :

- حقوق الإنسان في الإسلام والقوانين الوضعية

- المدخل لدراسة وبحث تاريخ وتراث الجلفة القديم والحديث

- تخريج رسائل المسعدي

- الجوهر المكنون في التعريف بأصحاب المتون

- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر
- الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر
- طريق الحريات (رواية)
- رجال ومآثر
- حياة وأعمال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي
- أسماء وأماكن
- جمعية العلماء المسلمين ودورها في التعليم الحر بالجلفة
- باقات من الشعر الملحون
- قضية حفناوي غول برواية صاحبة الجلالة
- ناس بلادي (مقالات صحفية)
- مقالات ورسائل ملغمة (مجموعة مقالات)
- رحلة قلم بين نقد وجلد الذات
- أبواب مفتوحة ونوافذ مغلقة(مختارات من مقالات مختلفة)

بالإضافة إلى تحقيق مخطوطات :

- تحفة الإخوان شرح طرفة البيان للمسعدي
- حكاية ومحاجية (من التراث)
- الولاية في الإسلام للمسعدي

- المناظرة الأدبية بين الديسي والمسعدي
- شرح المسعدي على لامية العرب للشنفرى
- شرح الشمقمقية للمسعدي
- ديوان المسعدي (جمع وتحقيق وتعليق)
- تدريس المناهج واللغة العربية في المدارس لمحمد بن عبد الرحمن الرايس.

***

للتواصل مع المؤلف :

النقال : ٠٥٥٠٨٦٢١٠٦ / ٠٧٧٢٧١٨٠٧٣ / ٠٦٥٧٣٠٠٢٧٤

ghoulhafnaoui@yahoo.fr

hafnaouibenamer@gmail.com